من عنده علم الكتاب ؟

الشيخ جلال الصغير

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الكتاب: من عنده علم الكتاب ؟
المؤلف: الشيخ جلال الصغير
الجزء:
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
تحقيق:
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١٩ - ١٩٩٨ م
المطبعة:
الناشر: دار الأعراف للدراسات - بيروت
ردمك:
المصدر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث شبكة رافد للتنمية الثقافية rafed.net مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث . بيروت -al albayt.com
ملاحظات:

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الفهرست

العنوان	الصفحة
المقدمة	٧
الاهداء	٢١
تصدير: الشهادة في المصطلح والمفهوم	٢٣
الفصل الأول: الشهادة في دلالاتها التفسيرية	٣٣
سورة الرعد مكية أم مدنية؟	٣٧
أي شاهد... وأية شهادة؟	٤٥
الآية في دلالاتها التفسيرية	٥٧
هل هو شاهد واحد؟	٥٨
هل الشاهد علماء أهل الكتاب؟	٦٤
أمير المؤمنين هو الذي عنده علم الكتاب؟	٨٠
أي كتاب.. وأي علم؟	٨٩
الفصل الثاني: الواقع الروائي لأفكار الإنحراف	٩٣
أ – المبنى الروائي لتحريف مراد الآية	١٠٠
ب – من عنده علم الكتاب في سنة المعصوم	١١٣
ج – آيات أخرى شاهدة على شاهدية الأمير	١٤٦
أ – علي الشاهد الذي يلي من كان على بينة	١٤٧
ب – الأمة الوسط اخفاق آخر لخط الإنحراف	١٦٣
ج – على من تنزل الملائكة والروح	١٧٥
عودة للبداية	١٨٠
خاتمة المطاف	١٨٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

من عنده علم الكتاب؟

(١)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مفاهيم الإسلام (٩)
من عنده علم الكتاب؟
قراءة نقدية في مناهج الاستدلال عند تيار
تنتحر الأصالة فيه! (الآية نموذجا).
الشيخ جلال الدين علي الصغير
دار الأعراف للدراسات – بيروت
طبعة خاصة بالأنترنيت

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى - بيروت
١٩٩٨ م - ١٤١٩ ه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فاتحة الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب (سورة الرعد: ٤٣).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله كما هو أهله، نحمده بحمد لا يزول ولا يحول، ونستعينه على شرور أنفسنا من أن نضل أو ننحرف أو نخزى، ثم الصلاة على سيد رسله وخاتم أنبيائه، المستودع على كتابه، والمستحفظ على علمه، والمؤتمن على وحيه سيدنا ونبينا محمد وعلى الصفوة المنتجبة والخيرة المنتخبة من آله الذين عصمهم الله من الزلل، وجعلهم الراسخين في علمه، حيث لم يأتمن عليه إلا من ارتضى من نبي أو شهيد...
ها نحن نعاود من جديد الحديث عن واحدة أخرى من تلكم المفردات التي استهدفتها الثقافة التحريفية، التي ما فتئت منذ برهة من الزمن من الخروج علينا بين آونة وأخرى بشئ جديد، ليصب في قائمة جرأتها على فكر أهل البيت (ع) وابتعادها عنه، رغم محاولاتها الحثيثة لتقديم هذا الانحراف على أنه فكر مدرسة أهل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

البيت (ع).
وهذه المفردة رغم أن صورتها المباشرة قد لا تشكل ذلك الشئ الكبير في قائمة الانحراف، إلا أننا سنلاحظ أن استهدافها يخبئ وراءه جملة من الغايات والأهداف الكبيرة التي من شأن زعزعتها – أي هذه المفردة – أن يهد الكثير من المباني العقائدية والتشريعية الأساسية التي تعتمد عليها مدرسة أهل البيت (ع)، ولهذا فإننا على الرغم من أننا تحدثنا عنها بشكل مجمل جدا في بحثنا السابق (١)، إلا أننا وجدنا أن من الضرورة بمكان أن نفصل فيها الحديث بشكل مستقل، خصوصا وأننا وجدنا في الأيام الأخيرة تركيزا كبيرا على إرداف فكرة التحريف بمصاديق كثيرة، لا تتوقف عند افتعال سجال كلامي يستهدف مقامات شأنية أهل البيت (ع) التفصيلية فحسب، وإنما من شأنها أن تؤثر على مساحات أساسية في البنية العقائدية والتشريعية التي يقوم عليها هيكل مدرسة أهل البيت (ع).
ولست هنا في مقام الحديث عن تلكم الأهداف،

---

(١) الولاية التكوينية الحق الطبيعي للمعصوم عليه السلام: جلال الدين علي الصغير، الطبعة الأولى، دار الأعراف للدراسات.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فهي ليست مهمتنا الحصرية هنا،
ولكن لا بد من الإلماح إلى محورين أساسيين في هذا المجال هما:
أولهما: إن هذه المفردة التي استهدفتها التحريفية الجديدة بمعية جملة كبيرة من المفردات التي تشترك جميعها في كونها مورد حديث مستفيض في الحديث الصحيح الصادر
عن المعصوم عليه السلام (١)، وإذا ما كان

---

(١) كما في التضعيف الصادر بحديث الكساء أو بشأنية بعض الأنبياء والمعصومين كما في قضية سذاجة آدم عليه
السلام، وتوبيخ الله لنوح عليه السلام، وخشوع إبراهيم عليه السلام الروحي للكوكب وتخيله بأنه هو الإله العظيم، ومن
ثم للشمس والقمر، ودعوى أن موسى (ع) لم يكن يعلم بأن الله يرى إلا بعد أن علمه الله ذلك، وكذا هم يوسف (ع)
واستنفاذه كل طاقاته في المقاومة، وكذا التخرصات المشينة والمخلة بالأدب بحق أنبياء الله نوح وداود وسليمان ويونس
عليهم السلام وقضية الرسول) صلى الله عليه وآله وسلم) في موضوعة عبس وتولى، أو فيما يتعلق بطهارة آباء النبي،
وكذا في موضوعات نور الرسول والأئمة والشفاعة والرجعة والبداء والولاية والتكوينية وعلم الإمام، والعمل بالقياس
والاستحسانات والمصالح المرسلة وما إلى ذلك من أمور كثيرة جدا. (ذكرنا هذه الأمور ومئات غيرها مع استعراض
شامل لمواضع هذه المقولات في الثقافة التحريفية، وذلك ضمن كتابنا موضع الإنجاز: التحريفية الجديدة: المعالم والتداعيات).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ذلك صحيحا – وهو صحيح كما سنرى بعد
ذلك هذا البحث وغيره (١) – فإن من السذاجة القول بأن المقصود هو نفس هذه المفردات
دون أن تمتد لتطال مصداقية رواية أهل البيت (ع)، وجعل هذه الرواية (٢) مورد تجاذب عنها من أجل تمرير التفاسير الأخرى التي تتجاوز تفسير المعصومين (ع).
وهذا بدوره – إن مر – سيؤدي بالضرورة إلى إخراج سنة المعصومين (ع) من مجالات النص المقدس، وبالتالي حذفها من مصادر التشريع الإسلامي، سيما إذا ما لاحظنا ذلك ضمن الجو الملغم – إذا صح التعبير – في حديث أهل التحريف عن موضوعات

---

(١) ستصدر لنا تباعا بعون الله جملة من الأبحاث التي تتناول هذه الموضوعات، وقد أنجزنا لحد الآن الأبحاث التالية:
١ – العصمة – ٢ – الإمامة ذلك الثابت الإسلامي المقدس – ٣ – الإمامة، بحث في الضرورة والمهام، ٤ – الفقه الإباحي إباحة
فقه أم استباحة دين؟ ٥ – دور الوجدان في حركة الأمة (الشعار الحسيني نموذجا).
(٢) المقصود هنا الرواية الصحيحة والموثوقة في صدورها عن المعصوم (ع).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

العصمة (١)
وعلم الإمام وما إلى ذلك!!
وإلا فأي معنى يمكن أن نستوحيه من موقف شخص تقول له بأن الإمام (ع) يقول كذا، وهو يقول نعم، ولكن أنا أقول غير ذلك!!.. فتدبر.
وثانيهما: من المعلوم أن الوجدان الشيعي المبتني على الحب المتميز والمودة الخالصة لأهل البيت (ع)، إنما نشأ، فلأسباب أغلبها يعود إلى طبيعة معرفية خاصة بالمواصفات الذاتية والموضوعية لشخصية الأئمة (ع) مرة في جانب مناقبياتهم السامية، ومزاياهم السامقة، وأخرى في ظلاماتهم المأساوية وطبيعة ما جرى عليهم (روحي فداهم)، ومن ذي وذا كون الوجدان الشيعي بنيته التي كان لها أكبر الأثر في بلورة طموحاته وآماله في العدالة والكرامة، وبالتالي كان لها أكبر الأثر في دفع مسيرة أهل البيت (ع) إلى مراحل متقدمة بصورة لم تفلح معها كل مجابهات الظلمة ومواجهاتهم ضدها وضد أنصارها على مدى العصور،

---

(١) أنظر على سبيل المثال مقالة: مع الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد، مجلة الفكر الجديد، العدد التاسع ص ٦٢،
وكذا فقه الحياة ص ٢٦٧ فما بعدها.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ولم تقف في قبالها كل إجراءات القمع الأمني والإرهاب السياسي والحرمان الاقتصادي والعزلة الفكرية وغيرها، بالرغم من كل ما تميزت به هذه الإجراءات والتدابير من قسوة وشراسة لم نعهد أي تيار فكري أخر أن تعرض لها، وهي على الرغم من كل ذلك لم تنحن، ولن تصخ سمعا لهذه الضغوط، وليس هذا فحسب، وإنما راح الوجدان الشيعي المتوقد يعطي لإرادة السائرين كل الزخم الذي يحتاجون إليه، بشكل حول التشيع أخيرا إلى الهاجس المرعب الذي تخشاه كل التيارات الطاغوتية حاكمة كانت أم محكومة،
علمانية كانت أم دينية، إسلامية (١) أم مسيحية أو يهودية أو بوذية. وبصورة أضحى الفكر الشيعي منارا لكل دعاة التحرر من القهر والاستعباد.
والتساؤل الذي لا بد منه هنا هو: هل هي محض مصادفة أن تقترن إرادة التحريفية الجديدة بعملها الدؤوب من أجل تحطيم تلك الطبيعة المعرفية التي أسست أساس الوجدان الشيعي، وكذا حملتها الشرسة ضد مواقع الإثارة المركزية في البنية الوجدانية (٢) مع الرغبة الاستكبارية

---

(١) أي تتخذ من الإسلام كغطاء رسمي يغطي ظلمها.
(٢) كما نرى في حملتها المنظمة ضد البعد المأساوي
في هذه البنية من خلال ما طرحته حول مظلومية السيدة الزهراء
(ع) وتكوينها التربوي [أنظر كتاب تأملات إسلامية حول المرأة: ٩] والمسائل المتعلقة بشعارات الحسين (ع)، وكذا ضد
الجنبة المناقبية في هذا البناء من خلال ما طرحته حول شخصية الإمام علي [كما نرى ذلك في كتاب في رحاب دعاء
كميل] أو في شؤون بيعة الغدير [أنظر كتاب الندوة ١: ٤٢٢ وبضع أشرطة نحتفظ بها.]، وكذا ما طرحته من مسائل
عدم ثبات الإمامة والعصمة وتنكرها للولاية التكوينية والشفاعة وشؤون الزيارات والأضرحة [أنظر في ذلك مقالات
الأصالة والتجديد في مجلة المنهاج العدد الثاني، ومقال مع الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد في مجلة الفكر الجديد العدد
التاسع، وصورة النبي محمد في القرآن الكريم في مجلة الثقافية الإسلامية العدد ٦٥، وما نشر في مجلة الموسم في عددها
٢١، ٢٢، وغير ذلك كثير.] وغير ذلك كثيرا جدا.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الحثيثة والجادة في تفتيت وتحجيم مواقع الطاقة الحركية في الاتجاه الإسلامي الشيعي على وجه الخصوص؟.

فإن كان الواقع التحريفي على وعي لما يمكن أن تسببه أفكاره – بغض النظر عن الصحة والخطأ – من آثار تخريبية على هذه المسيرة، فتلك مصيبة تؤشر من جهة وبوضوح إلى مدى الإختراق الذي يمكن أن يمارسه أعداء الإسلام في جسم الأمة بحيث أنه بجند الكثير من الطاقات الإسلامية المغررة لضرب الإسلام وتحجيم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

حركته.
ومن جهة أخرى تعطينا كل الحق في النظر إلى تيار التحريف والتشكيك بريبة واتهام، وخصوصا وأن أغلب الأفكار والممارسات التي حاولت التحريفية أن تستهدفها هي من النمط الذي لا يمثل أرقا فكريا أو هاجسا جدليا تعاني منه حالة النهوض بالمشروع الحضاري والإسلامي، وإنما هي في الأعم الأغلب من جملة الموضوعات التي يصلح القول فيها أنها كانت راقدة، بحيث يمكن القول معه أن أي ضرورة فكرية أو حضارية – على خلاف مدعى أهل التحريف – لإثارة مثل هذا الجدل لم يكن لها وجود بالمرة (١).

---

(١) هذا لا يعني أننا نطالب بالانغلاق على المسائل الفكرية النائمة وإن حوت على مشاكل في البنية الدليلية، وإنما الوعي
الحركي الحضاري يفترض تارة أولويات في الخطاب الفكري تبعا لحجم الضغط الذي تفرزه متطلبات الواقع الحركي من
جهة، وضغوط التيارات الحضارية الأخرى من جهة ثانية، وعندئذ سنجد أن في جعبتنا المئات من الموضوعات التي
ينبغي أن يتصدى لها رجال الفكر باعتبارها من أولويات هذا الخطاب.
وتارة يفرض أن نعالج هذه الموضوعات وغيرها ضمن قدرة دليلية تكفي لنقض ما كان لدينا من أفكار وقيم ضمن مسيرة
البحث عن الأفضل والأكمل.
أما أن نتخذ من هذه المسيرة حجة لمواجهة تلك الأفكار ونعتها بكل النعوت السلبية بقدرات استدلالية متدنية، فهذا
ما لا يرضى به ذو عقل. فأنت حر في مناقشة ما تريد، ولكن ينبغي مراعاة حقيقة أن النقاش لم يوضع لأجل النقاش،
وإنما من أجل أن يوصلنا إلى الأفضل، وبغيره فالشك والجدل يغدو عملية عابثة قد تدخل في أي نمط في السلوك الاجتماعي إلا أن تدخل في عالم الأفكار، فهو منه براء.
وهذا ما حصل بالضبط مع الثقافة التحريفية التي استعارت مناهج معرفية غريبة عن الفكر الإسلامي فأوقعها ذلك في
مطب عدم تقبل الفكر العقائدي فراحت تنبش علها تحصل على دليل، ولكنها ظلت عاجزة وبعيدة عن تشكيل حتى
مجرد دليل يمكنه نقض الفكرة السابقة، فضلا عن الإتيان بدليل ينمي ويعزز الفكرة المطروحة.
وهذا ما يقود بطبيعة الحال إلى إيجاد المبرر الحقيقي للارتياب في حقيقة أهداف عملية النبش العقائدي هذه، إذ نجد
هنا اجتماع العبثية واللامسؤولية مع تدني الفكر المصاحب بادعاء عريض على أن فكر التحريفية هو فكر الإسلام، الأمر الذي قاد إلى الاعتقاد أن المسألة تتجاوز البعد الفكري لتلتحق بالأبعاد خصوصا إذا ما لاحظنا ذلك ضمن
منظار ذلك الإصرار على الطرح الفكري التحريفي مع وجود قناعة بعدم وجود الدليل المقنع، ولربما من ينظر إلى طبيعة
الممارسات التي صاحبت ضجيج التحريفية الجديدة، يشعر إن الكثير منها يضفي نمطا دراماتيكيا يستحق التأمل الشديد، كون أغلب تلكم الممارسات لا تنتمي إلى ما ألفناه من أجواء أكثر الطروحات تنكرا للعقائد.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وإن كان الواقع التحريفي لا يقصد هذا، فهو أمر وأدهى، فواقع يطرح أفكارا لها صفة التخريب الشديد في بنية المذهب وهو لا يعلم، إنما يضع نفسه في موضع التصرف اللا مسؤول الذي ينبغي أن يدان ويشجب!.

هذا وإن كان الاتجاه العام يظهر وبوضوح تام – كما يعرب نفس القائمين على هذا التيار – أن تصرفات هذا الواقع تنم عن قصد ووعي كاملين، وهو ما نعتقد به أيضا!!.

* * *

على أننا سنجد ومن خلال تحليل كلمات التحريفية جديدة في موضوع الكتاب وغيره، أن هناك اتجاها لتأسيس فهم عجيب لآيات القرآن، أقل ما يقال عنه أنه

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مجانب لفكر أهل البيت (ع)، فضلا عن تجنبه للتوافق
مع القرآن الكريم ومعطياته، وهذا – إن مر –
يؤسس بطبيعته لجملة من الموضوعات القرآنية ما يجعلها – على الأقل – تعمل ضد تكامل الشخصية الإسلامية المتصدية للمشروع الاستكباري، فهذه الشخصية يفترض أن تتعبأ على أعلى مستويات التعبئة العقائدية، كي تستطيع أن تعي ضمن هذا المعترك الحضاري، وإذا بها على العكس من ذلك تجد نفسها قبالة مفاهيم تتلبس بلباس القرآن، ولكنها تتناقض مع الكثير من المفردات القرآنية الأخرى، بشكل تشعر معه بأن القرآن ليس هو ذاك الكتاب المنسجم مع بعضه، في وقت تعتبر فيه أن هذا القرآن غير المتجانس هو عنوان مشروعها الحضاري المزعوم!!! وهل من غريب الصدفة – مرة أخرى – أن يتلاقى هذا الجهد مع جهود الحرب النفسية ومقتضيات الغزو الثقافي الاستكباري الرامي لتفتيت وعي الأمة لذاتها؟!!.
وأيا كان الاتجاه فإنني ألمس أثرا تخريبيا كبيرا يمكن لمثل هذه الأفكار أن تتركه على بنيتنا العقائدية والوجدانية، بصورة تضعني أمام واجبي الشرعي للتصدي لتوضيح عقيدة أهل البيت (ع) وإزاحة ما

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يحاول البعض إلحاق بعض الرين بها، وذلك عملا بحديث
الرسول (ص): إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لمن يفعل فعليه لعنة الله (١).
وفي رواية يونس بن عبد الرحمن (رضي الله عنه)، عن الصادقين (ع): فمن لم يفعل سلب نور الإيمان منه (٢).
وفي هذا البحث حاولنا أن نكتشف الأطر التي بموجبها قال أهل البيت (ع) بأن آية: (ومن عنده علم الكتاب) (٣) مختصة بأمير المؤمنين (ع) وهم من بعده، والتي تنكر لها
ذلك البعض، موليا الاختصاص لعلماء أهل الكتاب (٤) وذلك تبعا لمرويات أهل العامة في هذا
المجال.
وقد قسمنا الحديث في ذلك إلى بحث تفسيري ناقشنا فيه كل الآراء المطروحة في هذا المجال، وإلى

---

(١) الكافي ١: ٥٤ ح ٢. ومثله في وسائل الشيعة ١١: ٥١٠ ب ٤٠ ح ١.
(٢) علل الشرائع: ٢٣٥ - ٢٣٦ ب ١٧١ ح ١، ومثله في غيبة الطوسي: ٦٤ ح ٦٦.
(٣) سورة الرعد: ٤٣.
(٤) جريدة فكر وثقافة، العددين: ٢٢ و ٤١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بحث روائي يظهر تواتر رواية أهل البيت (ع) على ذلك.
وباعتبار أن أصل الطرح إنما يستهدف نمط التعامل مع سنة أهل البيت (ع) فقد أشفعنا البحث الروائي بالحديث عن منهج الاستدلال الروائي لدى التيار التحريفي، وهو المنهج الذي يشكل أحد الركائز الأساسية التي أفضت إلى ولادة تيار الانحراف!!.
يبقى علي أن أشير إلى هذا البحث كان في الأصل قد ألقي على شكل محاضرات (١) ضمن مباحث الإمامة التي ألقيناها على بعض الطلبة الأعزاء في منطقة السيدة زينب (ع) بدمشق الشآم.
سائلا المولى العلي القدير أن يمن علينا بمزيد من التوفيق والهداية، وأن لا يحرمنا من حسن العاقبة،

---

(١) وهي المحاضرات التي وصفها تيار الانحراف بأنها شتائمية، ولا تقدم الدليل بقدر تقديمها الضجيج، وهي الطريقة
التي تعارف هذا التيار على التعامل بها كلما وجد نفسه محاصرا من قبل الدليل، ويمكن للقارئ الكريم أن يتصفح متون
البحث ليجد أي لغة شتائمية ينطوي عليها. هذا إذا لم يعن مصطلح الشتائمية نقد فكر هذا التيار ودحضه، وإلا فقد
حوى البحث على أكثر من ذلك.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ويجعل هذا الجهد قرة عين لي ولوالدي بين يدي قسيم الجنة والنار وساقي الحوض يوم حشر الخلائق سيدي ومولاي أمير المؤمنين، وأن يعوض علينا بعافيته ونعيمه كل
ما تحملناه وما نتحمله من معاناة وقرارات التهديد والوعيد!! وفتاوى إهدار الدم!! إنه نعم المولى ونعم المعين (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (١) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المهجر في ١٢ / ٨ / ١٩٩٧.

الشيخ جلال الدين علي الصغير

دمشق – السيدة زينب (ع) ص. ب ٦٢٥

---

(١) آل عمران: ١٧٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الإهداء

سيدتي زينب يا بنت أمير المؤمنين

أوراقي بين يديك ما هي إلا رشفة من بحر هامت فيه الأنفس فلم تجد ضالتها إلا من مكنتموه من الارتشاف من معين الولاء لكم.

أوراقي غرفة من بحر ولائي لإمام الهدى الأكبر وسبيل النجاة الأقوم أقدمها إليك يا ابنة الطهر بيد مرتعشة خجلى من واقع التقصير، فإن لم أكن أهلا لأن أحظى بالقبول فأنت يا ابنة الأكرمين أهل لذلك.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تصدير
الشهادة
في المصطلح والمفهوم

(٢٣)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بسم الله الرحمن الرحيم
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده الكتاب.
من خلال الحديث الواسع النطاق عن الشهادة في القرآن، تتبدى لنا الأهمية الخاصة التي أولاها القرآن للموضوع، وحسب الظاهر فإن هذه الأهمية تتعلق بكونها - أي الشهادة - لصيقة
الصلة بالبنية العقائدية الإسلامية، وعندئذ فليس ثمة غرابة حينما استهدفت ثقافة التحريف هذا
المفهوم، وحاولت ضمن محاولة مفضوحة أن تستبيح هذا المفهوم لتسقطه على مصاديق من شأنها
أن تزيف المفهوم برمته وتخرجه عن الحدود التي أطره الله بها.
ومن أجل أن نستجلي حقيقة الأمر هنا، لا بد لنا من وقفة أولى مع معنى الشهادة في اللغة والاصطلاح.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يعرف الراغب الأصفهاني الشهادة والشهود بأنهما: الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر أو بالبصيرة، لكن الشهود بالحضور المجرد - أي عن المشاهدة - أولى، والشهادة مع المشاهدة أولى..

ثم أضاف قائلا: والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر (١).

وقال ابن منظور في لسان العرب: الشهيد الذي لا يغيب عن علمه شئ، والشهيد: الحاضر، وفعيل من أبنية المبالغة في فاعل، فإذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد، ثم قال: والشهادة خبر قاطع تقول فيه: شهد الرجل على كذا.. ثم قال: المشاهدة: المعاينة (٢).

ونستنتج من ذلك أن الشاهد والشهيد هو الذي حضر أمر شئ محدد، وأحاط بكل تفصيلاته علما، بحيث أنه يتمكن معه من التحدث عنه بضرس قاطع، ومن هنا أصبحت الشهادة بمثابة الحلف والقسم (٣)، لأن الشاهد حيث أنه يرى الأمر المشهود رؤية الحضور، يغدو

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢) لسان العرب ٧: ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٣) لسان العرب ٧: ٢٢٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

حديثه عنه حديثا عن يقين، وبالتالي فهو يحلف على ما تيقن بحدوثه.
ولو تابعنا الحديث القرآني عن مفهوم الشهادة لوجدنا أنه قد عرض له في مستويات متعددة وفي
مواضع عديدة من القرآن الكريم، فمرة نجد القرآن يسمي الله [جل وعلا] بالشاهد على كل
شئ كما في قوله تعالى: (إن الله كان على كل شئ شهيدا) (١) وقوله: " قل ما سألتكم من
أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ شهيد " (٢)، وأخرى يصفه بأنه هو الذي
يولي دور الشهادة لعباده كما في قوله تعالى: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا " (٣)، والآية الأخيرة
في عين تشخيصها بأن الله هو الذي يولي من يشاء من عباده أمر الشهادة، فإنها تشخص أيضا أن
النبي (ص) قد أولي مهمة القيام بهذا الدور، ومن خلال الآية القرآنية التالية نستطيع أن نتصور أن
هذا الدور لا يستطيع القيام به كل من هوت نفسه ذلك، وإنما هو أمر اجتبائي من قبل الله حيث
يقول الله جل وعلا: " يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا

---

(١) النساء: ٣٣.
(٢) سبأ: ٤٧.
(٣) الأحزاب: ٤٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الخير لعلكم
تفلحون * وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم
إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على
الناس فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير " (١).

كما أننا يمكننا ومن خلال الآية الكريمة: " وإذ أخذ ربك من بني أدم من ظهورهم
ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا
غافلين " (٢) أن نفهم أن دور الشهادة يتعدى المفهوم التشريعي للكلمة إلى الشأن التكويني، الأمر
الذي يضفي على حساسية دور الشهادة الشئ الكثير، لما توحيه مقدار العناية الربانية وحرصها
على إتمام دور الشهادة، حتى إذا ما أتمتها عللت ذلك بالقول: " أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن
هذا غافلين "، ومن هذه الآية وبضع آيات أخرى كما في قوله تعالى: " يوم تشهد عليهم ألسنتهم
وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون " (٣) وقوله تعالى: " اليوم نختم على أفواههم

---

(١) الحج: ٧٧ - ٧٨.
(٢) الأعراف: ١٧٢.
(٣) النور: ٢٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وتكلمنا أيديهم
وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون " (١) يظهر لنا أن الشهادة مطلوبة لإتمام الحجة على الناس.
ومن خلال ذلك يتبين لنا أن الشاهد: هو الذي يكون عالما بشكل كامل بالشئ الذي يستدعي فيه الشهادة، وكونه عالما يستدعي أن يكون حاضرا حصول الحدث المستشهد عليه مما
يعني حياته في وقت الحدث ويدل عليه قول عيسى بن مريم (ع) في القرآن: " ما قلت لهم إلا ما
أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت
الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد " (٢)، حيث يشير عليه السلام إلى أن دور الشهادة
قد انتفى منه بمجرد أن توفاه الله إليه، وهذه الآية وآية الأعراف السابقة: " وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا " تشير إلى أن دور الشهادة يستمر ما دامت الحياة، وأن
يستمر هذا الدور، فإن طبيعتها تحتاج إلى عدم كتمانها، بل إن من دواعي حجية الشهادة الإفصاح عنها وإبرازها، ولهذا عبر القرآن الكريم: " ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه إثم قلبه
والله بما تعملون

---

(١) يس: ٦٥.
(٢) المائدة: ١١٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليم (١).
وطبيعة الأشياء تظهر لنا حقيقة أن الأمر المطلوب بالشهادة عليه كلما كان أكبر، كلما احتجنا إلى مواصفات عليا في ملكات العلم والحياة والعدالة، ولئن كان أمر العلم والعدالة بينا،
فإن ثمة مشكلة تبدو أمام البعض في شأن حياة الشاهد، وهو يرقب شهادة الرسول (ص)، فمن
الواضح أن الرسول قد أوكلت إليه مهمة الشهادة على أمم الأولين والآخرين لقوله تعالى: " فكيف
إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " (٢)، وكانت من جملة أبرز مهمات
نبوته الشريفة أنه قد أرسل شاهدا لقوله جل وعز: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا " (٣) وكذا قوله تعالى: " إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم " (٤) فمن الذي سيقوم بدور الشهادة من بعده على أمته؟ فها هو عيسى (ع) ما إن يتوفاه الله إليه حتى يعلن انتهاء شهادته كما في قوله: " قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته
فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا

---

(١) البقرة: ٢٨٣.
(٢) النساء: ٤١.
(٣) الأحزاب: ٤٥، وبمضمونها الفتح: ١٨.
(٤) المزمل: ١٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما
أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت
أنت
الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد " (١) خصوصا وأن الشهادة على أمة الرسول
(ص)
تحتاج إلى مواصفات أعلى من مواصفات الشهداء السابقين في ملكات العدالة والعلم،
وحيث أن
العلم الموكل إلى رسول الله (ص) ليس هو من سنخ العلوم البشرية العادية حتى يمكن
تحصيله مع
الجد والاجتهاد، وإنما هو فوق العلوم البشرية، بالشكل الذي من شأنه أن يكون حاكما
على كل
شئ بما فيها العلوم البشرية نفسها، كما أن العدالة المطلوبة من الرسول (ص) هنا هي في
مصاف
العصمة، وهذا ما يقتضي أن يكون المتمم لدور الرسول (ص) في شهادته على أمته له من
العلم ما
للرسول (ص)، وله من العصمة الواجبة في هذا المجال عين ما لدى الرسول (ص)، وحيث
إن
جهة الحياة لا يمكن تأمينها من خلال فرد واحد، لهذا لا بد وأن يتعلق الأمر بجهة، أفرادها
يتساوون في هذه الملاكات من حيث الأصل (٢)، وهذه الجهة يمكن لها أن

---

(١) المائدة: ١١٦ - ١١٧.
(٢) وإن أمكن التفاضل بينهم يكون الرسول (ص) أفضلهم، وهم بالتبع له.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تستمر بأداء دور
الشهادة، من خلال التعاقب الحياتي.
ومن خلال حقيقة أن دور الشهادة ليس بالشئ الهين الذين يمكن للقرآن أن يتجاوزه من دون توضيح، الأمر الذي يتضح معه أنه لا بد من العثور على ما يكشف هذا الغموض، وما وجدت آية تتكفل حل هذا الغموض بمجموعة كما وجدت في آخر آية من سورة الرعد حيث
يقول جل من قائل: " ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن
عنده علم الكتاب " (١)، ونظرا لهذه الخصوصية فقد تناولتها ثقافة التحريف على نطاق واسع
بمحاولة تزييف مفهومها، وتعويم دلالاتها، وهو ما سنتحدث عنه بصورة أكثر تفصيلا فيما يأتي
من حديث إن شاء الله.

---

(١) الرعد: ٤٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الفصل الأول
الشهادة
في دلالاتها التفسيرية

(٣٣)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تتحدث الآية الكريمة عن جملة موضوعات أبرزها وجود الشاهد الذي يشهد لرسالة الرسول،
وكون هذا الشاهد عنده علم الكتاب، وقد خاض مفسروا العامة جدلا محتدما حول هوية هذا
الشاهد، وتبعا لذلك اختلفوا في الموقف من هوية هذا الكتاب الذي وصف هذا الشاهد بأن لديه علمه، فهل هو علم اللوح المحفوظ فيتناسب مع الكتاب المشار إليه في الآية الكريمة: الذي
عنده علم من الكتاب "؟ (١) أم أن المراد به القرآن الكريم؟ أم أن المراد به هو كتب أهل الكتاب؟ وتبعا لذلك أيضا اختلفوا في أن سورة الرعد ومعها هذه الآية الكريمة، أو بمعزل عنها
كانت مدنية أو مكية، وقد خاض التعصب الطائفي والمذهبي بدلوه بصورة غدت فيه بعض صفحات الحديث عن ذلك مثيرة لعجب، ومن مهمتنا هنا أن

---

(١) النمل: ٤٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

نخوض في هذا الحديث كي
نستجلي الصورة المطابقة
للفهم القرآني.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

سورة الرعد مكية أم مدنية؟
اختلف المحدثون التفسيريون في موضع نزول سورة الرعد، فهل أنها نزلت في مكة أم في المدينة؟ وثمرة البحث في هذه المسألة هنا تتعلق في طبيعة دفاع بعض أهل التفسير من العامة عما
إذا ما كان عبد الله بن سلام وأضرابه من علماء أهل الكتاب هم من عنتهم الآية بمن عنده علم
الكتاب أم لا، فالذين قالوا أنها نزلت بمكة حاولوا أن يدفعوا كونها نزلت في هؤلاء، فلقد روى
السيوطي عن سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في ناسخه،
عن سعيد ابن جبير (رض) أن سئل عن قوله: " ومن عنده علم الكتاب " أو عبد الله بن سلام
(رض) قال: كيف، وهذه السورة مكية. (١)
وروى ابن جرير قال: حدثني المثنى قال: حدثنا الحجاج بن المنهال قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤: ٦٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قال: قلت لسعيد بن جبير: " ومن عنده علم الكتاب "، أو عبد الله بن سلام
قال: هذه السورة مكية، فكيف يكون عبد الله بن سلام. (١)
وعليه يحاول هذا الفريق الذي يقول بمكية السورة كي يخرج علماء أهل الكتاب الذين أسلموا
في المدينة من أن يصدق عليهم مفهوم من عنده علم الكتاب.
وعلى عكس هؤلاء نجد فريقا آخرا يقول بمكية السورة فيما خلا هذه الآية وآية أخرى
نزلت بالمدينة، فلقد روى الجوزي، عن أبي صالح فيما رواه عن ابن عباس أن السورة مكية: إلا
آيتين منها، قوله: " ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة إلى آخر الآية " (٢)
وقوله: (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) (٣) في مهمة
واضحة - حسب الظاهر - للرضوخ للروايات التي تقول بنزول الآية عبد الله بن سلام وأضرابه
كتميم الداري

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري) ١٣: ١١٩.
(٢) الرعد: ٣١.
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٤: ٢٢٣. وقريب منه قال الكلبي ومقاتل فيما نقله عنهما الطبرسي في مجمع البيان ٣: ٤١٩

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والجارود وسلمان الفارسي. (١)
على أن أقوالا أخرى أجملت نزول السورة في المدينة كما ذكره الزركشي حيث قال: فأول
ما نزلت فيها - أي المدينة - إلى أن قال: ثم محمد ثم الرعد (٢).
ثم استثني من ذلك قوله تعالى: " وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه
توكلت وإليه متاب " (٤) فقال: نزلت بالحديبية حين صالح النبي (ص) أهل مكة، فقال رسول الله
(ص) لعلي: أكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن الرحيم، ولو
نعلم أنك رسول الله لتابعناك، فأنزل الله تعالى: " وهم يكفرون بالرحمن " إلى قوله تعالى:
" متاب " (٥)، ثم استثنى من ذلك قوله تعالى: " ولو أن قرآنا سيرت به

---

(١) أنظر تفسير الطبري ١٣: ١١٩، الدر المنثور ٤: ٦٩، زاد المسير في علم التفسير ٤: ٢٥٢.
(٢) البرهان في علوم القرآن ١: ٢٥١.
(٣) ن. م ١: ٢٥٢ - ٢٥٣.
(٤) الرعد: ٣٠.
(٥) البرهان في علوم القرآن ١: ٢٥٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الجبال إلى قوله تعالى:
جميعا (١).
وقد نقل السيوطي عن ابن الضريس وأبي عبيد كل في كتابه (فضائل القرآن) وكذا عن أبي بكر بن الأنباري قولهم بنزولها في المدينة (٢).
ونقل عن أبي الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس، وعن ابن مردويه، عن ابن الزبير أنها مدنية، وعن ابن المنذر، وابن الشيخ، عن قتادة أنها مدينة إلا آية مكية: " ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا قارعة ". (٣)
وقال الجوزي: واختلفوا في نزولها على قولين: والثاني: أنها مدنية، رواه عطاء الخراساني، عن ابن عباس، وبه قال جابر بن زيد، وروي عن ابن عباس أنها مدنية، إلا آيتين نزلتا بمكة الخ. (٤)
ونقل الطبرسي فيما نقله من أقوال العامة عن الحسن البصري وعكرمة وقتادة قولهم أنها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة ولو أن قرآنا سيرت به
الجبال " وما بعدها. (٥)

---

(١) ن. م ١: ٢٦٠.
(٢) الإتقان في علوم القرآن ١ - ١١٠.
(٣) الدر المنثور ٤: ٤٢.
(٥) مجمع البيان ٣: ٤١٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وعلى أي حال فإن جميع من قال بنزول آية: " ومن عنده علم الكتاب " بحق علماء أهل الكتاب، أو قال بكون الكتاب المشار إليه في الآية إنما هو كتاب أهل الكتاب، فقد قال بنزولها في
المدينة، لأنه لا يعقل أن تنزل في مكة وأولئك إنما أسلموا في المدينة.
وعلى خلاف هؤلاء فقد قال جمع من المفسرين بنزولها في مكة حيث روى السيوطي عن النحاس في ناسخه، عن ابن عباس، وعن سعيد بن منصور، عن سعيد بن جبير كونها نزلت في
مكة. (١)
ونقل عن أبي الحسن بن الحصار في كتابه الناسخ والمنسوخ قوله في قصيدة مطلعها:

يا سائلي عن كتاب الله مجتهدا
وعن ترتيب ما يتلى من السور

إلى أن يقول:

هذا الذي اتفقت فيه الرواة له
وقد تعارضت الأخبار في أخر
الرعد مختلف فيها متى نزلت
وأكثر الناس قالوا الرعد كالقمر

---

(١) الدر المنثور ٤: ٤٢.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وانتهى السيوطي بعد ذلك إلى القول: والذي يجمع به بين الاختلاف أنها مكية إلا آيات منها (١).
ونقل الجوزي عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس كونها مكية قال: وبه قال الحسن وسعيد بن جبير وعطاء وقتادة، وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية إلا آيتين منها. (٢)
ونقل الطبرسي في نقله أقوال العامة عن ابن عباس وعطاء قولهم بمكيتها، وعن الكلبي ومقاتل قولهم بذلك باستثناء آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام. (٣)
ونقل الآلوسي من طريق مجاهد عن ابن عباس، كونها مكية أيضا. (٤)
ولكن العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) أكد على مكية السورة فقال: والسورة مكية كلها على ما يدل عليه سياق آياتها، وما تشتمل عليه من المضامين، ونقل عن بعضهم أنها
مكية إلا آخر آية منها فإنها نزلت

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١: ١٢ - ١٣.
(٢) زاد المسير ٤: ٢٢٣.
(٣) مجمع البيان: ٣: ٤١٩.
(٤) روح المعاني ١٣: ٨٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بالمدينة في عبد الله بن سلام، وعزي ذلك إلى الكلبي ومقاتل،
ويدفعه أن مختتم السورة قوبل بها ما في مفتتحا من قوله: " والذي أنزل إليك من ربك الحق ". (١)
ولا يكاد بالإمكان أن يخرج المدقق في تفاسير العامة بقول قاطع بجمع هذه المتعارضات، إلا
أنه من الواضح أن الصفة المكية تلوح عليها أكثر من الصفة المدنية، كما في حديثه تعالى الكثير
عن الذين كفروا، وتركيزه بالتبع إلى ذلك على الحديث العقائدي المرتبط بهم، وهي حالة تمت في
الغالب في مكة، إلا أن بضعة آيات منها قد تلوح عليه هو الآخر الصفة المدنية كما في الآيات
٢٢، ٣١، ٣٦.
وعلى الرغم من تفسيره الكتاب بكونه كتاب أهل الكتاب أي علوم التوراة والإنجيل، (٢) مما
يقتضي على الأقل مدنية الآية، إلا أن محمد حسين فضل الله ظل مترددا في الطبعة الأولى من
كتابه (من وحي القرآن) في موضع نزول الآية. (٣)
وبقدر تعلق الأمر بمبحث الكتاب فإن تحديد مكية

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ١١: ٢٨٦.
(٢) من وحي القرآن ١٣: ٨٠ - ٨١. دار الزهراء - بيروت.
(٣) من وحي القرآن ١٣: ٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أو مدنية الآية لا يغدو بذي بال، (١)
طالما أن مسألة من عنده علم الكتاب، وكذا مسألة هوية الكتاب يمكن حلها قرآنيا بالصورة التي
تخرجها عن إطار تخرصات العلوم البشرية وأهواء المناهج التحريفية، كما سيتضح ذلك في مطاوي الحديث.

---

(١) بمعنى أن موضوع البحث وهو التفتيش عن هوية هذا الذي عنده علم الكتاب يمكن أن نعالجه وفق منهج المواصفات التي
تطرحها نفس الآيات القرآنية دون أن نقع في تخبطات واضطراب المفسرين التي هي في هذا المجال مجرد ظنون وتخرصات ذاتية.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أي شاهد وأي شهادة؟
ليس من العسير ملاحظة أن أحد المهمات الكبرى التي أوكلت إلى رسول الله (ص) هي كونه مرسلا كشاهد من السماء على العالمين وهو يحكيه قوله تعالى: " يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا " (١) وكذا قوله تعالى: " إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا " (٢) وأيضا
قوله تعالى: " إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم " (٣)، وإزاء هذه المهمة الكبرى لا بد لنا
وأن نتساءل بجدية ومسؤولية عما إذا كانت هذه المهمة قد استوفت أغراضها في حياة الرسول
(ص) بحيث أن الشارع المقدس لم يعد بحاجة لأحد كي يقوم بهذه المهمة بعد وفاته (ص)، أم أن
الأمر ليس بهذه السذاجة بحيث أن الشهادة تنتفي بمجرد وفاة الرسول (ص)، وإنما لا بد من
وجود من يتم هذا الدور بعد وفاته (بأبي وأمي)؟.

---

(١) الأحزاب: ٤٥.
(٢) الفتح: ٨.
(٣) المزمل: ١٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ولو رجعنا للغايات الإلهية التي تقف وراء الشهادة والتي تشير إليها الآيات القرآنية الكريمة: " وإذ أخذ ربك من بني أدم من ظهورهم ذريتهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن
تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ". (١)
لوجدنا أن طبيعة إلقاء الحجة الربانية كاملة على بني آدم لا تتوقف عند قوم دون آخرين، وإنما يجب سريانها على جميع الأقوام والأمم, وذلك لأن هذه الغاية رافقت البنية التكوينية لبني
آدم، ولذا فإن من الطبيعي بمكان أن يتلازم بقاء الجنس البشري، مع بقاء هذه الحجة، وإن انتفاء
أحدهما يستلزم انتفاء الثاني لاستحالة أن يقال أن الإرادة الربانية إرادة عباثة في مخلوقاتها.
ولا أعتقد أن ثمة عسر في الوصول إلى تلازم آخر، وهو تلازم أمر الشهادة مع وجود
المعاينة، فليس من معنى للشهادة بمعزل عن أن يكون الشاهد معاينا لما سيشهد به, ومع هذا
الحال يتبدى للوهلة الأولى أن ثمة تناقض بين هذا المفهوم، وبين مفاد الآيات التي أشارت إلى
شاهدية الرسول، وقد أشير إلى هذه الشاهدية بمعنى مطلق، الأمر الذي يعني أن شهادة الرسول
لا تتوقف عند زمانه فحسب، بل هي تمتد إلى ما بعد زمانه الشريف

---

(١) الأعراف: ١٧٢.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بالمصاف مع إنذاره
وبشارته (ص).
ولا يمكن حل هذا التناقض إلا من خلال القول بأن الشهادة دور ومهمة، وهذه المهمة يمكن
أن توكل إلى وكيل هو كالأصيل في إتمام هذا الدور، نتيجة لتحقق خصائص ومواصفات الشهادة
هي شخصيته، وهذا ما يلتقي أيضا مع جملة من الآيات القرآنية التي أشارت إلى وجود شهادات
سابقة لحياة الرسول (ص) كما في الآية الكريمة: " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا " (١)، وكذا في قوله تعالى: " ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم
وجئنا بك شهيدا على هؤلاء " (٢) وهما يشيران وبوضوح إلى وجود شهادة لأنبياء ورسل وأوصياء الأمم, واعتبار الرسول (ص) الشاهد على هؤلاء جميعا، وحيث أن الرسول لم يكن
حاضرا في حياة تلك الأمم، لهذا لا يمكن فهم هذا الآيات إلا من خلال اعتبار شهادات
الأنبياء (ع) في طول شهادته (ص) أي هي شهادات وكلاء تتجمع لدى الوكيل الأصيل، وهذه
الأخيرة – أي شهادته على الأمم السابقة – والتي تلتقي مع مفهوم كونه سيد الأنبياء والمرسلين،
تستلزم

---

(١) النساء: ٤١.
(٢) النحل: ٨٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أن يستمر دور الشهادة إلى الأمم اللاحقة لحياة الرسول (ص) فهو شاهد على جميع الأمم وهذا ما يلتقي مع مفهوم نظرية النص الإلهي التي تعتمدها الإمامية، (١) والتي تعني استمرار دور
شاهدية الرسول (ص) من خلال شهادة الأئمة (ع) على مجتمعاتهم، ومن دون ذلك فإن الحديث عن
استمرارية دور الرسول في الشهادة يغدو فارغا من محتواه، وذلك لاستلزامها لمواصفات لا يمكن
أن توجد عند أحد غيرهم كما سنوضح ذلك إن شاء الله تعالى.
ويخالف محمد حسين فضل الله هذا الاتجاه، ويتبنى توسيع مبدأ الشهادة ليشمل: (الطليعة الواعية المؤمنة التقية المنضبطة التي تفهم الإسلام حق الفهم وتعيه حق الوعي وتمارسه حق الممارسة وتحمله بروح رسولية رائدة إنها النخبة الواعية الموجودة في كل زمان ومكان التي يقف
الأئمة الطاهرون والعلماء الواعون

---

(١) نظرية النص الإلهي: هو المقولة التي تقول بأن رسول (ص) لم يترك أمته هملا دون راع، وإنما نص على إمامة أئمة أهل
البيت (ع) بتكليف من قبل الله جل وعلا، وذلك ضمن تفصيل استعرضنا بعض جوانبه في كتابينا: القائد.. القيادة والانقياد في
سيرة الإمام أمير المؤمنين (ع)، وكذا كتابنا: الإمامة.. بحث في الضرورة والمهام (قيد الإتمام)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والأولياء الطيبون والمجاهدون العاملون الذي يحملون هذه
الشهادة إلى الله لأنهم يعيشون روح الرسالة ويعيشون من خلالها الوعي لكل حياة الناس كما هو
الرسول في رسالته وفي وعيه لأمته). (١)
وهو قول يشبه إلى حد بعيد قوله في توسعة مفهوم ولاية الأمر الواردة في الآية الكريمة: " يا
أيها الذين أمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم " (٢) ليخرجها من إطار الإمامة –
كما هو نص الروايات الموثوقة في هذا الشأن – كما سيأتي بعد ذلك – تحصر الشهادة بأهل البيت
(ع) كجهة عليا ونهائية للشهادة بعد رسول الله (ص).

---

(١) مجلة المعارج (عدد خاص بفكر فضل الله) مقال: (الوسط والشهودية مشروعان لإنقاذ الحضارة) الأعداد: ٢١ – ٢٣
ص ١٦٧ – ١٦٨.
(٢) النساء: ٥٩.
(٣) أنظر تفسيره: من وحي القرآن ٧: ٢٣٠ دار الزهراء الطبعة الأولى.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وثانيا: إن ما أدخله من مصطلحات ما هي إلا عبارات فضفاضة ومبهمة، فأي فهم هو حق الفهم؟ وأي وهذه على أي حال تحتاج إلى سقف محدد حتى يمكن إلى حدود هذه المفاهيم
وإنه قد غدا مصداقا لها، وبغيرها فإنها تعدو كلمات تتسع لكل شئ، ويمكن أن يخرج منها كل
شئ.
وثالثا: ولا نحتاج إلى تحديد مفهوم هذه المصطلحات فقط، وإنما نحتاج إلى تحديد هوية هذه
المفاهيم، فالوعي المطلوب ضمن أي صنف علمي نحتاجه، فالفهم والوعي المراد هنا إن كان في
خصوص الرسالة، فيحتاج إلى جهة تكون علامة بكل شؤونها، كي تتمكن من الشهادة عليها،
وهذا ما لا يمكن لعالم أو ولي أو مجاهد الادعاء بتمكنهم منه، وذلك لأن هذه الجهة ينبغي أن
يكون علمها بهذه الرسالة إما بمستوى الرسالة نفسها أو أعلى من مستواها، كي تتمكن من الشهادة، حيث لا يعقل أن نأتي بشاهد لم يحط بكل تفاصيل الرسالة، وإن كانت الممارسة المدعاة هنا تعني السلوك، فهي الأخرى لا يمكن أن تتقبل هذه العناوين، لأن الممارسة المحققة
تستدعي العصمة، وهو مما لا ينطبق

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

على هؤلاء بأي حال من الأحوال.
ورابعا: إن طبيعة الشهادة تحتاج إلى مواصفات أساسية، فالشاهد ينبغي أن يكون أعلم الموجودين بشأن ما يشهد به، وإذا كان مفاد الشهادة هو الرسالة، فلا بد إذن من أن يكون هو
الأعلم بهذه الرسالة، سيما وأن بعض الآيات تتحدث عن تمكن الشاهد من الشهادة على بينات
الله كما في قوله تعال: " أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه " (١) وهذا أمر لا يمكن
حصوله إلا من خلال علم استثنائي، فالرسالة إن كانت تعبر عن العلم الإلهي في بعض صوره،
فالشاهد على تبليغه يفترض أن يكون علمه في مصافه، وأن يكون كذلك فالواجب أن يكون تلقيه
لهذا العلم من معدنه، أي أن يكون من خلال الطرق التقليدية للتعليم، وهذا ما يجعل الشاهد
استثنائيا في علمه أيضا، ولن يكون هذا الشخص بهذا المستوى إلا من خلال كونه شخصا قد
اصطفاه الله لذلك.
والشاهد لا بد وأن يكون عادلا في الإدلاء بشهادته بحيث أنه لا يكتمها مهما كانت الظروف، فلا بد وأن يكون

---

(١) هود: ١٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

معصوما، إذ لا معنى لتعلق مفهوم الحجية على حضور الشاهد في
الوقت الذي لا تكون فيه عملية الإدلاء بالشهادة محسومة بشكل قطعي، ولا قطع في هذا المجال
من دون العصمة.
ويتأكد كل ذلك من خلال التأمل الدقيق في مرامي الآية الكريمة التي تتحدث عن مواصفات
الشاهد حيث قال جل من قائل: " يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا
الخير لعلكم تفلحون، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من
حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم
وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم
النصير " (١) فما أشار إليه سبحانه وتعالى هنا إنما هو الصورة الفضلى لهذه الأعمال، فليس
الركوع هنا أي ركوع، وليس السجود هنا أي سجود، وليست العبادة آية عبادة، وإنما هي صورة
في بعدها المطلق، ومما لا شك فيه أن هذه الصورة لا يمكن تحققها، إلا من خلال العصمة.
على أن ملكة العدالة والعلم في هذا المجال لا

---

(١) الحج: ٧٧ - ٧٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تكفي وحدها، وإنما لا بد من أن يكون لدى
الشاهد قابلية الشهادة من حيث الاستعداد لحمل عبئها من جهة، والإحاطة بساحات الشهادة
وأدائها (أماكن وأزمان) من جهة أخرى، فهذا القرآن يحدثنا عن أن زمن الشهادة العامة لا يسمح
لكل أحد بالقيام بها كما في قوله تعالى: " يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من آذن له
الرحمن وقال صوابا " (١)، وقول الصواب المطلق كما ترى يستلزم من الشخص أن يكون بمؤهلات
عالية عند الله، بحيث يدعه يتكلم في يوم أوصف بأوصاف رهيبة من جملتها ما وصفته الآية
الكريمة: " يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة
عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب
الله شديد " (٢)، وهذه المواصفات أقلها أن من لم يكن مطمئنا على نجاته يومئذ، فهو في شغل عن
الشهادة على نفسه ولها، فضلا عن الشهادة على غيره وله، وهذا الأمر هو الآخر يدلنا مرة أخرى على ضرورة أن يكون الشاهد معصوما على

---

(١) النبأ: ٣٨.
(٢) الحج: ١ - ٢.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الأقل، (١) بحيث أنه يقدر – نتيجة لاطمئنانه – أن يشهد حينما يدعى للشهادة.
على أن هذه الأهلية إن لم تلتزم بوجوب تمتع بمواصفات استثنائية خاصة، وتصطدم أيضا بالشهادة على عوالم الجن، وهؤلاء يدخلون في مقتضياتها، لتحقق الطلب الإلهي منهم بالعبادة، مما
يستلزم الثواب العقاب، ومعها يصبح وجود الشاهد عليهم واجبا، ولكونهم أمم أمثالكم، وكذا
الشهادة على عالم الملائكة بما فيهم ملائكة الوحي، فضلا عن الملائكة الكاتبين لأن الملائكة أمة من
الأمم، وهذه تدخل في مفاد قوله تعالى: " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا ") فأين كل ذلك من فرضية النخبة والطليعة الواعية؟!. (٢)

---

(١) نقول: على الأقل، لأننا نلاحظ أن الله لم يستدع الأنبياء كشهداء منفردين، وجميعهم من أهل العصمة، وإنما استدعى
الرسول (ص) ليكون شاهدا على هؤلاء، مما يشير إلى أن المطلوب من الشاهد كلما تقدمت منزلته ومرتبته أمر أكثر من العصمة،
ولكن ما تحدثنا عنه هو في الحدود الدنيا لهذه الأمر.
(٢) يشير العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) إلى اتساع
دائرة الشهادة بحيث أنها تشمل كل ما له تعلق ما بالعمل
فيدخل علاوة على ما أشرنا إليه عالم الزمان والمكان والدين والكتاب. أنظر الميزان في تفسير القرآن ١: ٣١٩، مؤسسة الأعلمي
– بيروت، طبعة ١٩٩١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وأخيرا فإني أعتقد
أن الآية الكريمة: " ومن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا " (١) كفيلة بتبيان الفارق بين الشهداء وغيرهم من
أصحاب الكفاءات التي أشار إليهم صاحب الشبهة، فعلى أحسن التقادير تكون النخبة والطليعة
الواعية وأصحاب الجهاد والعمل هم من درجة الصالحين، وهي درجة دون درجة الشهداء مما
يجعلهم يمتازون الواحد عن الآخر. فلا تغفل.
وإذا ما كان الشاهد يحتاج إلى مواصفات من هذا القبيل، فإن من العبث بمكان أن نفتش عن شهود لا يمتلكون مواصفات الشهادة في حدودها الدنيا، فكيف بما

---

(١) النساء: ٦٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يفوقها، خصوصا إذا ما
كان الحديث يخلو من الدليل الشرعي المتوازن، المنسجم مع بقية الآيات القرآنية، والمدعوم بالسنة
الصحيحة الصادرة عن المعصوم (عليه السلام)، وهو الأمر الذي عمد إليه أهل التفسير والحديث
من المدارس المخالفة لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وذلك لذودها عن أمير المؤمنين (عليه
السلام) وأولاده من الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، وتابعهم على ذلك محمد حسين فضل الله في
كتابات وأحاديث متعددة صدرت عنه قديما وحديثا.

ومن شأن التأمل الدقيق في مفاد آية الرعد مورد البحث أن يجعلنا نسلط الضوء بشكل
حاسم على كل ما أشرنا إليه من أمور، ونعي طبيعة المنهج الذي يعتمدونه من أجل سوق الأمة
باتجاه فهم قراني أبتر، تتعوم فيه المفاهيم، وتبهم المصاديق، ليمكن بالتالي تسخير القرآن للمآرب
الطائفية والمذهبي، وإيجاد وعي تسطيحي قد تراه يمتاز بكمال الدقة في إملائيات القرآن، ولكنه
أمي في فهم مفاهيمه.

وهذا التأمل هو ما سنحاول إثارته في الأسطر القادمة إن شاء الله تعالى.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الآية في دلالاتها التفسيرية
للمفسرين العامة اتجاهات متعددة للتعرض للآية، وإن كان المبنى الرئيسي لهم هو الحصول على موقف مناسب من العنوان الضخم الذي حددته الآية بوجود من " عنده علم الكتب " هو
عنوان يمكن أن يقدم إغراءات كثيرة في أي صراع مذهبي، وبالتالي فإن أي صراع مذهبي لا يمكنه
التنصل من مصداق هذه الآية، ولهذا قد نجد بعض أهل التفسير يمارسون من التعسف في تطويع
مراد الآية بشكل قد يقترب من مقولة الإعراب على طريقة: (منصوب وعلامة جره الضمة الظاهرة أوله!) وذلك للإشارة إلى حجم التخبط الذي يعتري مقولة بعضهم، وعملا بمنهجنا المعتاد فسنحاول هنا أن نسلط الضوء على اتجاهات المفسرين ونخضعها للنقد، فما وافق الحق
فالحق أحق بأن يتبع، وما خالفه فما أولانا بمخالفته والأعراض عنه، والله الموفق المسدد لطريق
الصواب.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الاتجاهات التفسيرية
تنحو إتجاهات التفسير إلى تحديد ثلاثة مسارات لتفسير الآية، وهذه المسارات هي:
هل هو شاهد واحد؟
أ – يصر الاتجاه الأول على اعتبار الشاهد في الآية واحدا، أي أنه الله جل وعلا، وأصحاب هذا الاتجاه ينقسمون بشكل عام إلى ثلاثة أقسام:
أولهما: من يفسر الآية بعبارة: من عند الله علم الكتاب، وهو ما رواه غير واحد من مفسري العامة، فلقد روى الطبري ذلك عن ابن عباس، (١) ومجاهد،

---

(١) فيما رواه أهل العامة من تفسير ابن عباس فيما عرف بتنوير المقباس لم يرد هذا المعنى، بل إنه أراد الاتجاه الثاني من
التفسير وهو ما سنتحدث عنه لاحقا (أنظر تنوير المقباس في هامش الدر المنثور ٣: ٢٧).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والحسن، وسعيد بن جبير،
وهارون، والضحاك بن مزاحم (١) وتابعه الجوزي فيما رواه عن مجاهد والحسن، (٢) وتابعهما
السيوطي على ذلك غير أنه أضاف أسماء كل من عمر وابنه عبد الله (٣).
وقد نقل الرازي عن الزجاج قوله مستدلا: الأشبه أن الله لا يستشهد على صحة حكمه بغيره. (٤)
وثانيهما: من يفسر الآية بالقراءة الشاذة: (من عند علم الكتاب) وقد رووها عن مجاهد، وقال الجوزي: اختاره الزجاج، وهي قراءة ابن السميفع وابن أبي عبلة ومجاهد وأبي حياة. (٥)
وثالثهما: من يفسر الآية بقراءة شاذة أخرى تروى

---

(١) تفسير الطبري ١٣: ١١٩.
(٢) زاد المسير في علم التفسير ٤: ٢٥٢.
(٣) الدر المنثور ٤: ٦٩.
(٤) مفاتيح الغيب أو تفسير الرازي ١٩: ٧٢.
(٥) تفسير الطبري ١٣: ١١٩، زاد المسير ٤: ٢٥٢.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عن الحسن البصري هي: (من عنده علم
الكتاب). (١)
ولكن هذا الاتجاه الذي حاول أن يتنصل من مقولة علماء الكتاب فقال بكون السورة
مكية، ومن أجل أن يبعد عقيدة الإمامية في هذا الشأن حاول أن يلغي وجود شاهد أخر
على
رسالة الرسول (ص)، ولكن محاولاته هذه لم تمنعه من أن يسقط أسير تعسفاته فاعتمد
قراءات
شاذة لا يعول عليها، بل وحاول تسهيل الصعب وتصعيب السهل.
فهو استساغ أن تعطف الذات وصفتها على نفس الذات، وهو قبيح في اللغة، واستصعب
أن يستشهد الله بغيره على صحة حكمه، كما أشار الزجاج، فيما نجد أن القرآن يقدم
العديد
من الشواهد على جواز ذلك.
وتبيانه إنه على تقدير صحة هذا الاتجاه نكون قد

---

(١) أنظر نفس المصادر والزمخشري في تفسيره الكشاف ٢: ٣٦٤، والبيضاوي في أنوار التنزيل ٢: ٣٤٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عطفنا الله الموصوف بالشهادة على الله
مرة أخرى، ليكون تقديره هكذا: الله الشاهد والله، وهو مما لا يستقيم بلاغة في اللغة، فكيف
بأبلغ الكلام؟ ولهذا تجد الرازي يعترض فيقول: وهذا القول مشكل، لأن عطف الصفة على الموصوف، وإن كان جائزا في الجملة، إلا أنه خلاف الأصل، لا يقال: شهد بهذا زيد والفقيه، بل
يقال: شهد به زيد الفقيه. (١)
وقد علق العلامة الطباطبائي على ذلك بقوله: وهو قبيح غير جائز في الفصيح، ولذلك
ترى الزمخشري لما نقل في الكشاف هذا القول عن الحسن بقوله: وعن الحسن لا والله ما يعني إلا
الله قال بعده: والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة، وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو شهيدا
بيني وبينكم. انتهى (٢) فاحتال إلى تصحيحه بتبديل لفظة الجلالة (الله) من (الذي يستحق العبادة)
وتبديل (من) من (الذي)، ليعود المعطوف والمعطوف

---

(١) أنظر تفسير الرازي ١٩: ٧٢.
وقد تابعه في ذلك الخازن في تفسيره لباب التأويل في معاني التنزيل ٣: ٦٩، وكذا النيسابوري في غرائب القرآن ورغائب
الفرقان المطبوع في هامش تفسير الطبري ١٣: ٩٩.
(٢) الكشاف ٢: ٣٦٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليه وصفين، فيكون في معنى عطف أحد
وصفي الذات على الآخر، وإناطة الحكم بالذات بما له من الوصفين كدخالتهما فيه.. فافهم
ذلك، لكن من المعلوم أن تبديل لفظ من لفظ، يستقيم إفادته لمعنى لا يوجب استقامة ذلك في
اللفظ الأول وإلا لبطلت أحكام الألفاظ. (١)
أما قولهم بأن الله لا يستشهد بغيره على صحة حكمه، فلعمري ها هو القرآن يقدم الكثير
من الشواهد على خلاف ذلك كما ترى في قوله تعالى: " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح
والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب
ويونس من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما * رسلا مبشرين ومنذرين لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما * لكن الله يشهد بما أنزل إليك
أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا " (٢).
ولذلك ترى الرازي يستبعد هذا المعنى فيقول معقبا على ذلك: لما جاز أن يقسم الله
تعالى على صدق قوله

---

(١) الميزان في تفسير القرآن ١١: ٣٨٧.
(٢) النساء: ١٦٣ - ١٦٦.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بقوله: " والتين والزيتون " (١) فأي امتناع فيما ذكره الزجاج. (٢)
وكيفما يكن فإن من الواضح جدا أن هذا الاتجاه قد استغرق في البعد عن ظاهر مؤديات العطف، وما لم توجد قرينة قاطعة لا يمكن حمل الظاهر على خلافه، على أن الأغلب من هؤلاء،
قد علل اللجوء إلى ذلك بسبب عدم إمكانية تصورهم بوجود من له علم بشؤون اللوح المحفوظ
بالإطلاق الذي تشير إليه الآية الكريمة، في الوقت الذي نفوا فيه أن يكون علماء الكتاب هم
أصحاب الآية، وستقف بعد ذلك على أن هذه الإمكانية موجودة، وبالتالي فلا مجال لكل هذا
التعسف.

---

(١) التين: ١.
(٢) تفسير الرازي ١٩: ٧٢.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هل الشاهد علماء أهل الكتاب؟
ب – أما الاتجاه الثاني: فهو ما يعمد إليه العديد من المفسرين من العامة، وينضم إليهم التحريفيون المعاصرون، ويبلور هذا الاتجاه أفكاره من خلال ادعاء أن المقصود في هذه الآية هم
علماء أهل الكتاب من الذين أسلموا على يد رسول الله (ص) كسلمان الفارسي وتميم الداري
والجارود وابن يامين وعبد الله بن سلام وغيرهم، وأغلب حديث هؤلاء ينصب على ذكر عبد
الله ابن سلام بعنوانه: (من عنده علم الكتاب) ولدى هؤلاء يكون الكتاب الذي تحدثت عنه الآية
هو كتاب أهل الكتاب من توراة وإنجيل وما إلى ذلك.
فلقد روى المعنى الطبري، عن عبد الله بن سلام، وابن عباس، وقتادة (١)، وأضاف الجوزي
إلى ذلك الحسن، وعكرمة، وابن زيد، وابن

---

(١) تفسير الطبري ١٣: ١١٨ – ١١٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

السائب، ومقاتل، وشمر، (١) وتابعهم السيوطي فيما
رووه إلا أنه أضاف جندب. (٢)
وقد تابع محمد حسين فضل الله هؤلاء فيما حدثوا به فقال تعقيبا على سؤال في هذا
الصدد: هناك رواية (٣) تقول إنه علي (ع)، وهناك روايات (٤) تنطلق من سياق الآية أي
أن النبي
(ص) كان يستشهد بالأشخاص الذين يملكون علم الكتاب حتى يعرفوا المسلمين النبي
(ص)
مذكور في التوراة والإنجيل ولعله هو الأقرب لأن الإمام (ع) كان مع النبي فكيف يستشهد
به وهم
لا يقرون علمه. (٥)
وحينما سئل عن المقصود بهذه الآية حسب

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤: ٢٥١ - ٢٥٢.
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٤: ٦٩.
(٣) لا أعرف إن أراد وجود هذه الرواية لدى الإمامية أو ما عداهم، وفي كل الحالات
فالروايات الموجودة هنا عديدة لدى العامة، ومستفيضة لدى الإمامية، وهي بالتالي ليست برواية
واحدة.
(٤) لا ريب أن هذه الروايات لا توجد لدى الإمامية. فتأمل.
(٥) جريدة فكر وثقافة العدد: ٢٢ بتاريخ ٢٣ / ١١ / ١٩٩٦،
وكذا كتاب الندوة ٢: ٣١٦ الطبعة الأولى - دار الملاك -
بيروت ١٩٩٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(الرواية الموثوقة عن أهل البيت) أعاد نفس
القول الأول مع بعض التوضيح ننقله بالنص: هناك رواية تقول بأن المقصود به هو علي (ع) باعتبار أنه يملك علم الكتاب، ولكن الظاهر (١) من الآية أنها تتحدث عن أهل الكتاب الذين يعلمون
الكتاب، والوجه في ذلك أن النبي كان في مقام الاحتجاج عليهم بما يكون حجة عليهم، والإمام
علي (ع) هو تلميذ النبي (ص) لذلك فالآية من قبيل " فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " (٢)
بالبينات، ذلك

---

(١) هذا الظاهر إن قال بوجوده بناء على روايات أهل البيت (ع) فلعمري قد ادعى ما ليس له وجود، بل على العكس تقف روايات أهل البيت (ع) على النقيض من ذلك تماما، كما سيتبين لنا من الحديث عن الجانب الروائي في هذا المجال.
وإن قال به - بعد إسقاط الروايات - بناء على ما يشير إليه في العديد من كتبه بأنه يستوحي من القرآن ما يراه قابلا للاستيحاء فإن ذلك من استحساناته العقلية، دون مستند شرعي، ويكون بذلك قد خالف - مرة أخرى - سنة أهل البيت (ع) الرافضة للعمل بالاستحسانات العقلية.
[أنظر في ذلك أقواله في من وحي القرآن ١: ١٢. وكذا كتاب
للإنسان والحياة: ٣٠٧ - ٣١٠.]
(٢) الأنبياء: ٧.
أقول: ادعاء تعلق آية " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا
تعلمون " بعلماء الكتاب من اليهود
والنصارى [تحدث محمد حسين فضل الله بعد ذلك وبإصرار أكبر على عد الآية من متعلقات أهل الكتاب. أنظر جريدة فكر وثقافة: العدد ٤٣ بتأريخ: ٣١ / ٥ / ١٩٩٧.] تكذبه إجماع الروايات الموثوقة لأهل البيت (ع) حيث تؤكد هذه الروايات، وكما المنطق العقلي بأن هذه المرجعية الفكرية الكبرى لا يمكن أن تخرج عن إطار المسلمين، لأن خلافه يستلزم تناقض الأمر التشريعي الناهي عن اتباع أهل الكتاب، هؤلاء هو صاحب هذه المرجعية، بناء على مبنى السيرة العقلائية بوجوب الرجوع إلى الأعلم، وإما في المنطق الروائي فروايات أهل البيت (ع) الصحيحة والموثوقة مجمعة على تخصيص الآية بأهل البيت (ع) واللافت أن بعضها يتحدث بلهجة حادة جدا إزاء من يقول بأنها نزلت بحق علماء أهل الكتاب كما نجد ذلك في صحيحة محمد بن الحسن الصفار فيما رواه عن أحمد بن محمد (وهو ابن عيسى)، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن (المعلى بن) أبي عثمان، عن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله (ع) في قوله الله تعالى: " فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " فذكرنا له حديث الكلبي أن قال: هي في أهل البيت قال: فلعنه وكذبه. [بصائر الدرجات: ٦١ ج ١ ب ١٩ ح ١٥] وما بين الأقواس منا للتوضيح.
وكذا صحيحته فيما رواه عن السندي بن محمد، عن العلا، عن محمد بن مسلم, عن أبي
جعفر (ع) قال:
قلت له: إن من عندنا يزعمون أن قوله الله تعالى: " فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا
تعلمون " أنهم اليهود والنصارى، قال: إذا يدعونهم إلى دينهم، ثم أشار بيده إلى صدره وقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون. (بصائر الدرجات: ٦١ ج ١ ب ١٩ ح ١٧).
وقد تحدثنا عن ذلك (دلالات الآية وشبهة فضل الله حول مرادها) بالتفصيل في كتابنا: الإمامة: بحث في الضرورة والمهام.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لأن القرآن كان يتحداهم بأن يظهروا التوراة، وكان يتحدث عن أهل الكتاب
وعلماء أهل الكتاب الذين كانوا يعلمون الكتاب، فالرواية بحسب ظاهر السياق القرآني
يراد فيها
علماء أهل الكتاب. (١)
ولمناقشة واقع دلالة الآية الكريمة، تارة سنناقش أي الدلالات هي الصادقة في الانسجام
مع القرائن العامة قرآنية كانت أو حديثية، وأخرى سنناقش التبرير الذي قدمه محمد حسين
فضل
الله، ولم أطلع فيما لدي من كتب تفسير وعقائد العامة على أحد قدم مثل هذا التبرير.

---

(١) جريدة فكر وثقافة العدد: ٤١ بتأريخ ٢٤ / ٥ / ١٩٩٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ونحن من خلال تأمل حقيقة الشهادة المطلوبة في الآية يلفت إنتباهنا حقيقة أن الشهادة المطلوبة تتعلق برسالة الرسول (ص)، لقوله: " لست مرسلا " وكذا أن الشاهد المطلوب مقطوع
بعدالة شهادته بحيث أن الله سبحانه يعبر عن الكفاية التامة لشهادته، والمعبر عنها بقوله: " قل
كفى " هذا علاوة على أن الشاهد مقطوع بعلمه المطلق بشؤون الشهادة بحيث أنه قرن شهادة
الشاهد بشهادة الله، حيث عطف شهادته على شهادة الله لقوله: " بالله شهيدا بيني وبينكم ومن
عنده علم الكتاب "، وهذه الأمور تجعل مهمة أهل الكتاب سالبة بانتفاء الموضوع، حيث إننا هنا
نلاحظ أن الشاهد يحتاج إلى مواصفات الرسالة وشأنيتها، وحيث أن رسالة كهذه تتمثل ببنية
فكرية وتشريعية وأخلاقية، وهذه البنية تلتحم التحاما كاملا مع البنية الذاتية لشخص المرسل (١) في
أبعادها السلوكية

---

(١) يرفض محمد حسين فضل الله هذا المعنى ليشير إلى الفصل بين شخصانية محمد بن عبد الله كذات وبينه كرسول. أنظر كتاب خطوات على طريق الإسلام: ٤١٢ - ٤١٤، الطبعة الخامسة، دار التعارف للمطبوعات ١٩٨٦ وكذا العديد من كتاباته ومقالاته.
ولعمر الحق هل كان غير محمد بن عبد الله في بعده الذاتي
البحث بقادر على تحمل هذه الرسالة، وهل أن الجعل
الإلهي المعبر عنه في الآية الكريمة: (الله أعلم حيث يجعل
رسالته) (الأنعام / ١٢٤) كان ليكون لولا وجود ذات
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لكم كيف تحكمون؟!

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والوجدانية، ولهذا فلا بد، أن تجتمع لدى الشاهد البديل كل تلك المواصفات والخصائص، الأمر الذي يؤدي بالنتيجة إلى القول بأن وجود أهل الكتاب في محل الشاهد لا
موضوع له، لأن فاقد الشئ لا يعطيه.
وتبيان ذلك إن الشاهد المستدعى للشهادة يفترض به أن يكون محيطا بكل ظروف القضية المدعى للشهادة بها، وحيث أن هذه القضية هي رسالة الرسول (ص) فالمفروض أن الشاهد على
إحاطة تامة بهذه الرسالة، وهذا ما لا يستطيع شاهد أهل الكتاب أن يدلي بدلوه فيه، لأنها شهادة بغير علم.
كما إننا نلاحظ وضوح منطق التحدي – ضمن ظاهر سياق الآية – وهذا المنطق الذي تتقدمه كلمة: (كفى) (١) يشير إلى طبيعة الاطمئنان العميقة إلى شهادة

---

(١) يقول الراغب الأصفهاني عن معنى الكفاية: ما فيه سد الخلة، وبلوغ المراد من الأمر. المفردات في غريب القرآن: ٤٣٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الشاهد المتقدم لهذه الشهادة،
ولا أعلم كيف يمكن الاطمئنان إلى شهادة علماء أهل الكتاب كائنا من كانوا في وضع من هذا
القبيل! فلو فرضنا - وفرض المحال ليس بمحال - أن هؤلاء لسبب أو لآخر أخلفوا شهادتهم ولم
يشهدوا، هل سيعني ذلك أن القرآن والرسول (ص) سيبحث عن شاهد آخر غير شاهد هو دعاهم إلى الاستماع إلى شهادته؟! أم أن القرآن والرسول سيتراجعون عن أمر المحاججة لينكسروا أمام الذين كفروا؟.
من البديهي أن الله لن يضع رسوله في موضع كهذا، فهو أقرب إلى التكذيب منه إلى حد الإحراج أمام أعداء الرسالة من الذين كفروا، وكلاهما غير مقبول ضمن المنطق العقلي البسيط،
فما بالك بالحكمة الإلهية البالغة وإلى هذا التفت الرازي فقال إن: إثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع كونهما غير معصومين عن الكذب لا يجوز. (١)
وتابعه النيسابوري فقال قريبا منه: والاعتراض
(٢)

---

(١) تفسير الرازي ١٩: ٧١.
(٢) قوله: (الاعتراض) يعود إلى كلام من قال بشهادة أهل الكتاب، أي أنه يعترض على كلام من قال بهذه الشهادة.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بأن إثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع
جواز الكذب على أمثالهما لكونهم غير معصومين لا يجوز. (١)
ومع وجود كلمة (كفى) يغدو الأمر مستحيلا ضمن المنطق القرآني أن يتم استدعاء غير المعصوم للشهادة بمثل هذه القاطعية في مثل هذا الأمر البالغ الحيوية لرسالة الرسول (ص)، وبالنتيجة يضحى التحدي لا معنى له مع عدم وجود المعصوم، وإجرائه خلا ف الحكمة. فلا
تغفل!.
ولو كان المراد هنا - كما يشير صاحب الشبهة - أن الرسول قد استدعى شهادة هؤلاء كي شهدوا بما في كتبهم، فهو أولا مما لا دليل عليه، فعلى أقل التقادير لا يوجد أي تخصيص
يستشف منه أن المراد بالكتاب كتاب أهل الكتاب، والتذرع بالروايات الواردة من طرق العامة،
مما لا يغني ولا يشبع، حيث أنها متعارضة فيما بينها كما سنشير في حينه، علاوة على مناقضتها
بروايات أخرى.
وثانيا: إن من كتم هذه الشهادة - وفق هذا المنظار - كل سنوات ما قبل الهجرة وبعدها إلى حين

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١٣: ١٠٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إسلامه (١)، حري بأن لا يدعى لشهادة من هذا القبيل، فالذي يكتم مرة، يخشى منه أن يكتم
في غيرها، وهو بالتالي غير مؤهل لخوض شهادة من هذا القبيل لها كل هذا القطع، حيث أن من
المفترض أن أمثال عبد الله بن سلام وصحبه – حيثما كانوا من علماء كتبهم، وأن هذه الكتب قد
حوت البشارة بمبعث الرسول (ص) – أن يسلم قبل قدوم الرسول إلى المدينة، فإن كان الاحتجاج

---

(١) من ذكرتهم روايات شهادة أهل الكتاب أسلموا في أوقات متغايرة، وأقربهم إلى الإسلام (على بعض الروايات) كان عبد الله بن سلام التي تشير بعض الروايات إلى أنه أسلم بمجرد ما رأى رسول الله (ص) وهو قادم إلى المدينة، وقال البعض أنه أسلم بعد عام من قدوم الرسول إليها، ورأى آخر أنه أسلم قبل وفاة الرسول بعامين. (أنظر في هذا الشأن الإصابة في تمييز الصحابة ٢: ٣٢٠ رقم ٤٧٢٥).
وإن كنا نعتقد أن إسلامه كان متأخرا حيث لا يؤثر له في عالم الخبر والأحداث ما يدل على كونه كان موجودا في الأحداث المتقدمة من سنوات الهجرة، في وقت أن قلة المسلمين آنذاك كانت تسمح لمثله – وهو الذي وصف بأنه كان عالم أهل الكتاب – بالبروز في عالم الأحداث.
فيما نجد أن (تميم الداري) قد أسلم في العام التاسع لهجرة الرسول (ص). (الإصابة في تمييز الصحابة ١: ١٨٣ – ١٨٤ رقم: ٨٣٧).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

على ذلك بالقول بأن علمهم كان علما إجماليا وليس قطعيا، فإن من له علم إجمالي ومصدر العلم
القطعي منه قريب، ولم يبادر لمعرفة القطع في شأن عظيم كهذا، يكون من أهل التسامح على أقل
التقادير، وهو بالنتيجة غير مؤهل للشهادة في شأن له كل هذه الحساسية، فمن يتسامح نتيجة
لغفلة أو لغيرها، يمكن له أن يتسامح في أكثر من مرة!.
وثالثا: إن هؤلاء كانوا أصحاب كتب نعتقد بأنها كانت في زمن رسول الله (ص) محرفة (١)،
فإن كان هؤلاء من الذين كانوا يعتبرون كتبهم محرفة، فما لهم مالؤوا قومهم في البقاء على العمل
بتلك الكتب؟ ومن يكتم شهادة من هذا القبيل هل يستحق أن يستدعي لشهادة على رسالية
رسول من غير قومه؟! وإن كانوا ممن لا يعلم بأن كتبهم كانت محرفة، فعلى ماذا نسميهم علماء
الكتاب؟ في حال أنهم إلى الجهل المركب أقرب منهم إلى العلم.
يأتي هذا في الوقت الذي سبق للقرآن أن تحدث مع رسول الله مرارا بأن من هؤلاء من حرف الكتاب كما في

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قوله سبحانه وتعالى: " من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون
سمعنا وعصينا وأسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين " (١) وكذا قوله: " فبما
نقضهم ميثاقهم لعناهم قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال
تطلع على خائنة منهم " (٢)، وكذا قوله: " ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم
يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا " (٣)،
ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك كما في قوله جل من قائل: " ومن أهل الكتاب من إن تأمنه
بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا
ليس علينا في الأمين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون " (٤) ومنهم من يصد عن سبيل الله
ويأكل أموال الناس بالباطل كما في قوله تعالى: " فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه

---

(١) النساء: ٤٦.
(٢) المائدة: ١٣.
(٣) المائدة: ٤١.
(٤) آل عمران: ٧٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وأكلهم أموال الناس
بالباطل وأعتدنا للكافرين مهم عذابا أليما " (١)، وكذا في قوله تعالى: " يا أيها الذين أمنوا إن كثيرا
من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله " (٢).
ومن الطبيعي عندئذ أن يكون الرسول (ص) - والحال هذه من التقريع الشديد على أمور لها
مساس مباشر مع عدالة الشهود - أن يكون على أشد الحذر من الاحتمالات الواقعية لنكوصهم
عن الشهادة، وبالنتيجة لا يجعل نفسه في معرض الخدش المباشر لمصداقيته الرسالية، وهو الأمر
الذي يخشاه الرسول بما لا يخشى غيره، فتعقل!.
ورابعا: لو أن ملاك الشهادة هو شهادة أهل الكتاب أترى أن رسول الله قد أعيته كل
السبل بحيث أنه لم يك له بد من أن يستشهد بكتب وعلم هؤلاء وهم على الحال المريبة التي
عرفت؟ أفما كان أقرب للاطمئنان النسبي لو أن رسول الله (ص) وهو الأعلم منهم بكتبهم، أن
يأتي بكتبهم، ويستخرج مواقع النصوص التي تبشر بقدومه

---

(١) النساء: ١٦٠ - ١٦١.
(٢) التوبة: ٣٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المبارك، ثم يدعوهم للشهادة على
صحة النسبة وصحة البشارة؟ وفي ذلك فائدة أكبر لهم وللمسلمين ولمن كانوا في موضع الحجاج،
ناهيك عما في ذلك من تحجيم لخطر عدم الإدلاء بالشهادة على وجهها، وهو أمر لم يفعله
الرسول (ص) على أي حال.
وخامسا: إن الحجاج كان في الآية مع الذين كفروا بالمعنى المتبادر الطبيعي للفظ، فإن
هؤلاء لديهم شهادة الرسول وعلماء أهل الكتاب بمصاف واحد فهم لا يؤمنون بالاثنين معا، وإما
إن تكون الآية قد أرادت الذين كفروا من أهل الكتاب، فعادة ما يطلق هذا اللفظ على الحربيين
من أهل الكتاب لا على مجموع أهل الكتاب لمجرد أنهم من أهل الكتاب ومثل هؤلاء لن تنفع معهم
شهادة أمثال عبد الله بن سلام وتميم الداري، فضلا عن سلمان الفارسي الذين لم يكن في الوضع
الاجتماعي المناسب الذي يمكنه من الإدلاء بشهادة عادية، فكيف بما له أهمية شهادة كهذه؟
لأن المطالبة الواقعية والبديهية من قبل المحاججين في هذا المجال سترجع على هؤلاء، فلو أنهم كانوا
قد آمنوا بما يشهدون، فما بالهم قد أخروا إسلامهم كل هذه السنوات؟.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وأما إن كان المراد بهم الذين كفروا من أهل الكتاب وقد استدعى الرسول (ص) من أسلم من علماء أهل الكتاب للشهادة، فهذا لن يجدي أيضا لأن شهادة هؤلاء، هي شهادة من أسلم،
ومن أسلم شهادته كرسول الله (ص)، فما بال باء عبد الله بن سلام هنا تجر، وباء علي ابن أبي
طالب هنا لا تجر! (١) أنبئوني بعلم إن كنتم صادقين.!
وسادسا: (ألا ترى معي)! أن من له كل هذه الأهمية التي توصف بعالمية الكتاب جدير بالحضور في محاورات الرسول (ص) ومساجلاته مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فما لنا لا
نجد لهم ذكرا، خصوصا وأن الرسول (ص) قد عبر - هؤلاء عنه - بأنه كان محتاجا لشهادة أمثال
أولئك؟ وهم على هذا الحال إما أنهم قد أسلموا في أواخر حياة الرسول (ص)، وفي هذه الحال
يظل إشكالنا الأول على حاله، فما لهم لم يؤمنوا من قبل ذلك وهم الذين عندهم - كما يصف
فضل الله وصحبه - علم الكتاب؟ وإما أن يكونوا ممن أسلم من قبل ذلك، ولكن

---

(١) حيث استبعد فضل الله أن يكون الإمام علي (ع) هو الشاهد بدعوى أنه من صف رسول الله (ص).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الرسول (ص)
كان مستغنيا عنهم؟ ولو كان الرسول (ص) مستغنيا عنهم، فوقت إسلامهم لا يغدو بذي بال لعدم
ترتب شئ على التقدم والتأخر في ذلك، وعندئذ (ألا نتصور معي)! أن غيابهم وحضور أمير المؤمنين (ع) في مناظرات الرسول (ص) مع وفد نجران، ومن قبله مع قوم عبد الله بن صوريا
حينما استشهده على مسألة حكم الرجم بالزاني في التوراة بذي دلالة ومغزى هامين في مورد
تكذيب ما ادعى عليه القوم!.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أمير المؤمنين (ع) هو الذي عنده علم الكتاب
ج – لا يبقى لنا غير الاتجاه الثالث (١) وهو القول بأن من عنده علم الكتاب هو جهة من المسلمين، ويتبقى أمامنا معرفة هذه الجهة، ونحن قبل أن نعرف ذلك لا بد لنا من رد أصل الشبهة
التي أوردها محمد حسين فضل

---

(١) لا يعني قولنا بالاتجاهات الثلاثة خلو كتب التفسير من إتجاهات أخرى، وإنما لأن ما أشير إليه من آراء أخرى كما في
القول الذي يقول بأن من عنده علم الكتاب هو جبرائيل (ع)، وهو قول ليس بذي قيمة لتسالم أهل التفسير على نبذه، لكونه من
أخبار الآحاد التي لا يسلم متنها من النقض السري، وليس بأدل على ذلك من كون جبرائيل (ع) قد تصلح شهادته في الآخرة، أما
في عالم الدنيا فلا محل لشهادته الدائمة والمستمرة المعنية بها هذه الآية، لعدم التمكن من الإدلاء بشهادته أمام الذين كفروا – مثلا –
بسبب شأنه النوراني وشأنهم الظلماني، ولا مجال للقول بإمكانية ذلك لأنه سيجرنا للتحدث عن المعجزة في مجال اختار الله – لتمام
الحجية على الناس – طريق الأسباب الطبيعية، ولذا فقد أعرضنا عنها.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله على اختصاص الآية بأمير المؤمنين (ع) وهي أن رسول الله
(ص) لا يستشهد بمثل علي (ع) لأنه من صفه، وفي ذلك قال في مقام ترجيح القول بأن من عنده
علم الكتاب هو من يملك علم التوراة والإنجيل: لأن الإمام (ع) كان مع النبي (ص) فكيف يستشهد
به وهم لا يقرون علمه. (١)
وهذه الشبهة يمكن أن تصح لو أن أمر الشهادة كان أمرا ظرفيا محدد هو زمان المحاججة المدعاة مع الذين كفروا في عهد الرسول (ص) وبمعزل عما ذكرناه من مواصفات تستدعيها
شخصية الشاهد، أما إن كان الأمر يتعلق بمبدأ قرآني يسري في كل زمان، فإن هذا الأمر لا
معنى له، لأن الإيحاء المبتني على ذلك سيكون أن كتاب الله لا يمتلك الحجية بنفسه، بحيث أنه
يحتاج إلى شهادة علماء غيره بحقه (٢) وهذا ما لا يقول به

---

(١) الندوة ٢: ٣١٦.
(٢) لا يعني ذلك أن تصح عبارة من قال: حسبنا كتاب الله تخلصا من سنة الرسول أو الإمام، بل أن هذه الحجية تحتاج إلى
تبيان، وهذا التبيان لن يقوم به إلا أهله من رسول أو إمام وهو مؤدى حديث الثقلين: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن
تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله وعترتي. وبما أن الكتاب حجة في ذاته، فالعترة هي الأخرى حجة بذاتها ولكنهما يحتاجان
لبعضهما في إتمام الحجة على كل الناس.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مسلم واع، أضف إلى ذلك أن كون الآية
متعلقة بمبدأ قرآني عام، فإنها تفترض أن الشاهد حاضر دائم للشهادة، فأي حضور هذا تطمئن
الآية إليه، إن كان المراد بهم علماء أهل الكتاب، وفيهم من لا تصح شهادته على (حزمة بقل) كما
يقال.
هذا ناهيك عن أن من وصف بعلمية الكتاب - حسب فرضية فضل الله - لا يوجد في كل زمان، ولهذا اضطر إلى القول بأن المراد بهم هم: الطليعة الواعية المؤمنة التقية المنضبطة التي تفهم
الإسلام حق الفهم. (١)
وهنا يرتد آخر الأمر على أوله فلئن صح هنا القول بأنهم من وصفت بالطليعة الواعية
المؤمنة، فما لعلي (ع) لا يصح أن يكون من جملة هؤلاء - على الأقل - في زمن رسول الله (ص)،
فلئن كانت شهادة مثله لا تصلح في زمن رسول الله (ص) لأنه معه، أفتصلح شهادة الجمع وفيهم
من هم دونه، في زمن غيره!!.
إن من المؤكد أن طلب الشهادة هنا هو من أجل إتمام الحجة، وإتمام الحجة على حقانية الرسالة، لا يكون من خلال شهادة إثبات بنعم أو لا، وإنما يحتاج إلى من

---

(١) مجلة المعارج مصدر سابق: ١٦٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

يمتلك العلم التفصيلي
بكل شؤون الرسالة، بالصورة التي يكون الشاهد معها قادرا على دحض حجج الآخرين المضادة
لهذه الرسالة، وهذا لا يمكن أن يكون إلا من خلال جهة مؤمنة بكل الرسالة، وليست بجهة وافدة
من خارج الرسالة، ولهذا فإن المدعى بأن الرسول لا يأتي بمثل علي للشهادة لأنه معه، قول على
الأقل لا يمتلك الدليل المقنع إلا بمقدار من الاستحسانات العقلية التي لا تغني ولا تسمن، فوفق أي
مستند عقلي أو قانوني لا يتقدم للشهادة من كان الدليل القاطع على صحة قول أحد هؤلاء المتخاصمين، نعم يمكن أن تضعف شهادة هذا الشاهد إن كان دليله هو محض القول، أما في مجال
الفعل وتقديم الدليل القاطع، فلا مجال لرد شهادة هذا الشاهد، حتى وإن كان يمثل نفس أحد
المتخاصمين، ومعلوم هنا أن الشهادة المطلوبة ليست شهادة التصديق أو التكذيب على وقوع أمر
أو لا، وإلا ما جاء بكلمة العلم المطلق بالكتاب، حيث يكفيه في هذا المجال كل صادق في القول،
وإنما هي شهادة على تمامية الرسالة حتى لو كانت على نحو التفصيل الممل، وهو مقتضى إلقاء
الحجة على الناس، ولهذا عبر القرآن الكريم عن شهادات غاية في التفصيل: " يوم تشهد ألسنتهم
وأيديهم وأرجلهم بما

---

(١) النور: ٢٤.
(٢) هود: ١٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كانوا يعملون " (١) فلو لم يكن مقتضى تمام الحجية مستدعيا للشهادات التفصيلية، لما احتاج القرآن للحديث عن ذلك، إذ يكفي المجئ بشهادات الملائكة الكاتبين على
تنجيز الفعل المشهود عليه.
ولهذا نجد أن القرآن الكريم لا يستبعد إمكانية أن يشهد الشهادة بمثل هذه الأمور من له سنخ هوية المشهود له، طالما أن الشاهد يمتلك الدليل القاطع والبينات اليقينية على صحة شهادته، كما نرى ذلك في الآية القرآنية حيث يقول جل وعلا: " أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه
شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إن الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون " (٢)
وهذه الآية لا تطرح إمكانية وجود الشاهد من سنخ هوية المشهود له، بل وتابع له فحسب، وإنما تطرح وجوده الاجتماعي أيضا، فمن الواضح أن الذي هو على بينة من ربه هو
رسول الله (ص)، يتبقى علينا أن نعرف من هو هذا الذي يتلوه، ومما لا ريب فيه أن هذه الآية
تلتقي

---

(١) النور: ٢٤.
(٢) هود: ١٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مع الفهم الذي أشرنا إليه من قبل بضرورة أن يكون للرسالة شاهد من بعد وفاة
الرسول (ص)، وذلك لما رأينا بأن قوله تعالى: " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا " (١)
يشير إلى مهمة ودور لا إلى خصيصة ذاتية متعلقة برسول الله (ص) فحسب، وهذه المهمة طالما
أننا فهمناها بأنها تستدعي الحضور الوجودي، بما وجدناه من آية عيسى (ع): " وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد " (٢) والتي
تشير إلى استلزام حياة الشاهد، الأمر الذي يحتم وجود الشاهد بعد حياة رسول الله (ص)
يكمل دور الرسول ويؤدي إليه الشاهد كما أدت الأمم السالفة عبر أنبيائهم (ع) الشهادة لرسول
الله، وهذه الأمر يطرحه الفهم القرآني مرة بصورة الأمة الوسط كما في قوله تعالى: " وكذلك
جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " (٣)، وأخرى بصورة
خصائص ومواصفات هذه الأمة الوسط بالصورة التي عرضت له الآيتين الكريمتين: " يا أيها الذين
أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم

---

(١) الأحزاب: ٤٥.
(٢) المائدة: ١١٧
(٣) البقرة: ١٤٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا في الله حق
جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من
قبل في هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلوات وأتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير " (١).
فهذه الوسطية التي تقف بين رسول الله (ص) وسائر الناس في مسألة الشهادة لن تكون إلا من خلال مواصفات دقيقة تقترب من مواصفات الشاهد وتتطابق معه، ولهذا كانت هذه الأمة
الوسط مجتباة من قبل الله تعالى كما أشارت الآية الثانية، إذن فإنها ليست أمة بالمعنى الشعبي
للموضوع، وإنما هي مجموعة مصطفاة من الأمة، عبر عنها بالأمة لأنها علم الأمة وشاخصها
البارز، ولهذا عبر القرآن عن إبراهيم بأنه أمة في قوله تعالى: " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا
ولم يك من المشركين " (٢).
ونلاحظ هنا أن هذه الأمة المجتباة، قد كانت حاضرة في وجدان إبراهيم (ع) بحيث أنه سماها وعناها باسم المسلمين، وكونها سميت بذلك فلخصائص

---

(١) الحج: ٧٧ - ٧٨.
(٢) النحل: ١٢٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ومواصفات امتلكتها، هي التي
جعلتها بالتالي تمثل الصورة العليا في الإسلام.
ومن العجيب أن بعض المفسرين يشير إلى أن لفظة المسلمين أراد بها مطلق أهل الإسلام, دون أن يلتفت إلى تقدم لفظة الذين آمنوا على لفظة المسلمين، مما يميز الكلمة هنا عن كلمة
الإسلام في سورة الحجرات: " قالت الأعراب أمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل
الإيمان في قلوبكم " (١) فهنا تقدم الإسلام على الإيمان لأنه إسلام كل الناس، ولذلك نهى من ادعاء
الإيمان، أما في هذه الآية فنحن نرى العكس حيث تقدم لفظ الإيمان على الإسلام، مما يجعل هذه
الصفوة تمثل عصارة الإسلام.
ولولا حظنا بقية المواصفات بدقة لرأينا أن هؤلاء من أهل العصمة، وذلك لما أشير هنا إلى مواصفات مطلقة، وإذا ما كان وسط الشئ يعني أفضله كما يقول صاحب اللسان حيث
يعقب: ومنه الحديث: خيار الأمور أوساطها. (٢) إذن لا بد وأن يكون ركوع هذه الأمة وسجودها وعبادتها وفعلها للخير، ثم جهادها وإقامتها

---

(١) الحجرات: ١٤.
(٢) لسان العرب ١٥: ٢٩٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

للصلاة وإيتاؤها للزكاة واعتصامها بالله
يكون من أفضل أنواع السجود والركوع والعبادة، بحيث يكون الله مولاهم، على نحو مطلق لذلك
عبر عنه بأنه نعم المولى ونعم النصير، وهذا ما لا يمكن تصوره منفكا عن وجود العصمة، خصوصا وأنها تبلغ مرحلة لا تمثل فيها أي مسألة دينية مهما بلغت في صعوبتها أو تدانت في دقتها
لتمثل لهم حرجا، وهذا ما يجرنا إلى القول بأن وسطية كهذه تفترض فيهم العالمية، وهذا يرجع
آخر الأمر إلى أوله، أي أننا لما أشرنا من قبل إلى مواصفات الشاهد الذي يحتاجه الرسول (ص)
للشهادة على رساليته، وكونه لا بد وأن يكون عالما بما سيشهد به، ووجوب أن يكون معصوما
كي لا يكتم الشهادة، جاءت هذه الآية للتحدث عن وجود جهة مشخصة لها وجودها الاجتماعي والتأريخي، وضعت كوسيطة بين شهادة الناس وشهادة الرسول (ص)، وحيث أن من
يختصه الرسول (ص) للشهادة دون سائر الناس يكون أمثل الناس بطريقة الرسول (ص)، إذن فلا بد
أن نعثر على هذا الوجود بالقرب من رسول الله (ص)، لا أن نستبعده عنه، كما أراد فضل الله
حينما أبعد عليا عنه بدعوى أن الرسول لن يأتي بشاهد منه. فتأمل.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أي كتاب.. وأي علم؟
ونحن قبل أن نفتش عن هوية هذا الوجود التأريخي، لا بد وأن نتوقف في محطة أخرى من محطات الآية الكريمة، فطالما أننا استبعدنا في المبحث السابق أن يكون الكتاب، كتاب أهل
الكتاب، فعن أي كتاب تتحدث هذه الآية إذن؟.
ومن شأن تشخيص هوية الكتاب أن نستدل على طبيعة العلم الذي يمتلكه من عنده علم
هذا الكتاب، وقد دار الجدل بعد دحض نظرية كون الكتاب، كتاب أهل الكتاب حول اتجاهين،
فاتجاه ذهب إلى أن المقصود بالكتاب هو اللوح المحفوظ المدونة فيه أسرار عالم الملكوت، ويتقوى
هذا الاتجاه بوصف آصف بن برخيا (ع) في القرآن حيث أشارت إليه الآية القرآنية بوصف:
" قال الذي عنده علم الكتاب أنا أتيك

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

به قبل أن يرتد إليك طرفك " (١) حيث أن الآية التي
تصور آصف بن برخيا (ع) بأنه يمتلك نمطا من أنماط الولاية التكوينية وهي من آيات علم الملكوت
قد أشير إليه بأنه يمتلك بعضا من علم الكتاب لوجود (من التبعيضية) وحيث أن أشار إلى البعض فلا بد وأن يشير إلى الكل، ولهذا جاءت آية " ومن عنده علم الكتاب " للإفصاح عن هذا
العالم بكل هذا العلم.
وفي مقابل ذلك يتحدث الاتجاه الثاني عن أن هذا الكتاب إنما هو القرآن الكريم، وهو ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي في تفسيره (٢) حيث يرى أن ما يؤيد هذا الفهم هو مفتتح سورة
الرعد " المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق " (٣)، ويؤكد أنه هو الشاهد على
صحة الرسالة التي تضمنها باعتبار أنه: " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (٤)
وفي تصوري أن لا تعارض من حيث الجوهر بين كلا الاتجاهين، فلئن كان علم اللوح المحفوظ قد حوى

---

(١) النمل: ٤٠.
(٢) الميزان في تفسير القرآن ١١: ٣٨٣ - ٣٨٤.
(٣) الرعد: ١.
(٤) فصلت: ٤٢.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ما كان وما سيكون، فالقرآن فيه تبيان لكل شئ كما وصفه الله في قوله
تعالى: " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين " (١) وهذه
الكل شئ يمكن أن تمتد أيضا لعلم اللوح المحفوظ كما يذهب إلى ذلك البعض من المؤلفين. (٢)
وأيا كان الأمر فثمة شئ مجمع عليه وهو أن هذا العلم لن يكون علما بشريا، أي أنه لا
يأتي من المسارات الطبيعية للتعلم البشري، وإنما هو نمط من أنماط العلم الإلهي الذي لن يؤتيه الله
إلا من اصطفى من عباده، فتعبيره بلفظة: " ومن عنده علم الكتاب " إنما تشير إلى الاستغراق
لكل علم الكتاب، وهذا ما يجعله إما أن يكون علمه أكثر من ذلك، ففي كلا الفرضيتين يحتاج
هذا المدى من العلم إلى معلم استثنائي يفوق علمه من علم،

---

(١) النحل: ٨٩.
(٢) نحن نعتقد أن علم اللوح المحفوظ أوسع من علم القرآن، بدليل الآية القرآنية " إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون "
(الواقعة / ٧٧ - ٧٦) وقوله تعالى: " بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ " (البروج: ٢١ - ٢٢)، ولكن مهما كان الأمر فإن ما
لا شك فيه هو أن صاحب علم الكتاب يتميز بخصيصة استثنائية لا يمكن لبشر العاديين أن يطالوها.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وضمن أساليب استثنائية هي
الأخرى بإمكانها أن تختصر الزمن اللازم للعلم، ويستلزم ذلك مخبر استثنائي بوجود هذا العلم من
جهة، وبتمكن هذا الشخص منه، وهذا المخبر لن يكون علمه بالأمر العادي، وإنما ينبغي أن
يكون أعلم من الذين علم الكتاب كله، وهذا لن يكون بأي حال من الأحوال من المتعلمين البشر،
وإنما لا بد وأن يكون إما على تماس مباشر مع الذات الإلهية المقدسة، أو أن يكون هذا المعلم
والمخبر هو نفس الذات المقدسة، وهما لا يتعارضان فيمكن للرسول (ص) أن يختص بتعليم علم
ما علمه الله، إلى هذا الشخص أو الجهة، أو أن يرتبط هذا الشخص أو الجهة بآلية خاصة تمكنها
مباشرة من العلم الإلهي، وكلاهما مؤيدان في الأخبار والروايات الكثيرة.
ولهذا لا يبقى أمامنا غير السنة الموثوقة لتكشف لنا عن لثام هذا الشاهد، وهو ما سنتابعه في الفصل اللاحق إن شاء الله وما توفيقي إلا بالله.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الفصل الثاني
الواقع الروائي لأفكار الانحراف

(٩٣)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

السنة المعصومة كاشفة عن محتويات الكتاب، ووظيفتها تأويل ما لم يصرح له القرآن، أي أنها هي التي تقوم بدور التخصيص لما عممه القرآن، لا كما يزعم البعض حينما يحاول أن يسلب
من السنة هذا الدور، اعتمادا على منهج أصحابه حينما تنادوا في رزية يوم الخميس: إن النبي
ليهجر يكفينا كتاب الله!!.
وهذا المنهج - الذي يرفضه القرآن نفسه (١) - يحاول أن يتحدث بطريقة شعارية عن المفهوم
القرآني فيجعله حاكما على جزئيات المفاهيم الموجودة في

---

(١) وذلك لقوله تعالى: هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون أمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا
أولوا الألباب " (آل عمران / ٧). فقد رد العلم بمتشابهات القرآن فضلا عن معرفة المتشابه من المحكم إلى الراسخين في العلم،
ومن هم غير رسول الله (ص) وآله الطاهرين (عليهم السلام).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الأحاديث، معتبرا هذا المفهوم مقياس
صحة الحديث وفساده. (١)
بل تراه يذهب إلى ما هو أكثر من ذلك حينما يرفض الحديث الصحيح المفسر للقرآن على
غير طريقة التفسير الظاهري للقرآن فيقول: إذا كان نص قرآني وكان هناك حديث يؤول
هذا
النص، فالمقصود بهذا المعنى كذا غير المعنى الظاهر.. وهنا نلاحظ أن هذا النص الذي
جاء
ليفسر القرآن بغير ظاهره، هل يستقيم هذا التفسير مع قواعد اللغة العربية أم لا؟ هل يمكن
أن
يحتفظ القرآن ببلاغته مع هذا التفسير أم لا؟ لذلك ليس كل حديث نقبله ولو كان صحيحا
يأتي
بتفسير للقرآن غير التفسير الظاهر. (٢)
وما من شك في أن نفس القرآن يحكم كل شئ، ولكن حينما نجعل المفهوم القرآني (٣)
حاكما، فإن ما

---

(١) مجلة المنطلق العدد: ١١٣ ص ٣٢.
(٢) للإنسان والحياة: ٣٠١.
(٣) وهو مفهوم ضبابي يمكن أن يتسع لما يضيق عنه نفس القرآن، ويضيق عما أسهب القرآن في الحديث عنه، لكونه يخضع
لتفكير البشر، وطريقة فهمهم للقرآن، وفي هذا التفكير الكثير من التعصب والمذهبية المسبقة القادرة على تطويع أصلب المفاهيم،
وفي تلك الطريقة الكثير من الجهل والسذاجة بما لا يخفى على من له أدنى معرفة بعالم التفسير والحديث.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

نحتاج إليه مسبقا هو الآلية التي بموجبها نفهم هذه المفاهيم، ونحدد أطرها، ولن
نجد عندئذ غير السنة الصحيحة والموثوقة بقادرة على تحديد هذه المفاهيم، ففي القرآن
محكم
ومتشابه، وخاص وعام، ومقيد ومطلق، وظاهر وباطن، وهذه تحتاج إلى من يخرجها من
إطار
اللفظ إلى إطار المراد الإلهي، ولن يتولى هذا الأمر سوى من له ملكة التعرف على هذا
المراد،
وبغيره فإن ما يعبر به هو عن المفهوم القرآني، أو الفهم القرآني للمسائل وما إلى ذلك، لن
يعدو كونه
عملا من أعمال مناهج الاستحسان العقلي والمصالح المرسلة، (١) وهو

---

(١) وهي مناهج أهل العامة حيث يعمد فقيههم إلى إعمال رأيه حيثما انعدم لديه الدليل النصي أو القياسي، فيعمد تارة إلى
الاستحسان وهو على تعبير البعض: ما يقع في الوهم من استقباح الشئ واستحسانه من غير حجة دلت عليه من أل ونظير.
(إرشاد العقول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: ٢٤١ للشوكاني) أو يعمد أخرى إلى المصالح المرسلة التي يعرفها أحدهم بأنها:
نوع من الحكم بالرأي المبني على المصلحة بجلب نفع أو دفع ضر، مما لم يدل الشرع على اعتبارها أو إلغائها وهي كما ترى أحكام
تقوم على الظن, وتفتقد إلى الدليل الشرعي مما يجعلها خارجة عن دائرة الحجية.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

منهج علاوة على كونه
مرفوضا جملة وتفصيلا من قبل مدرسة أهل البيت (ع)، إلا أنه ظني الدلالة في أحسن الأحوال،
وهذا ما يرفضه القرآن ويقرع من يستخدمه فقال جل من قائل: " إن تطع أكثر من في الأرض
يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون " (١) وقوله: " وما يتبع أكثرهم إلا ظنا
إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون " (٢) وكذا قوله: " وما لهم به من علم إن
يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا " (٣) وذلك ضمن تفصيل يراجع في متون الكتب
الأصولية.

* * *

ونحن في هذا الفصل سنحاول أن نتعرف على هوية
هذا الشاهد، ومن أجل ذلك سنسير في ثلاثة مراحل هي:
أ - حقيقة المبنى الروائي الذي قام عليه تيار
الانحراف عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وفي هذا

---

(٢) الأنعام: ١١٦.
(٣) يونس: ٣٦.
(٤) النجم: ٢٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المجال سيكون حديثنا منصبا في البداية على واقع روايات أهل العامة، ثم سنناقش الأسس التي اعتمدها تيار الانحراف في إثارته العقيمة هذه.

ب – وفي المرحلة الثانية سنحاول أن نتعرف على موقف السنة الشريفة من الآية الكريمة بشكل مباشر، وعندئذ سنتبين عمق الهوة التي أوجدها تيار الانحراف بينه وبين أهل البيت (ع).

ج – ومن أجل أن نتعرف أكثر على هوية هذا الشاهد، لا بد وأن نتعرف على موقف السنة المعصومة من آيتي الوسط والشاهد التالي لرسول الله (ص)، فالآيتان لهما ارتباط وثيق بالمراد من آية الشهادة، ومن شروط الحديث عنهما أن ينسجم مع الحديث عن آية: " ومن عنده علم الكتاب ".

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أ – المبنى الروائي لتحريف مراد الآية
اعتمد تيار الانحراف – حسب الظاهر – على روايات أهل العامة في تسويق عملية
التحريف التي طالت مفهوم الآية ومفادها، ورغم أن هذا الأمر بحد ذاته يكفي لتعرية المنهج
والإفصاح عن بعده عن مدرسة أهل البيت (ع)، إلا إن من ضوابط العمل العلمي أن يبحث عن
الحقيقة أينما كانت، ولهذا فإن من الحري بنا أن نتبين حقيقة الروايات التي أولت عبد الله بن
سلام وأضرابه مصداقية الآية، بعد أن تبينا في الفصل السابق بعد دلالة مفهومها قرآنيا وموضوعيا
على ذلك.
يأخذ المتابع للمنهج الروائي في هذا المجال الذي سار عليه أهل تفسير العامة على هؤلاء
أنهم لم يرووا ما رووا عن رسول الله (ص)، وإنما كانت أغلب رواياتهم عن التابعين فيما خلا عدد
قليل من الصحابة، وبالتالي فهي

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لا تمثل للسنة والشيعة أدنى إلزام عملي بالعمل بمقتضى ما رووه،
خصوصا وأننا سنلحظ إنهم قد يروون رواية تتعارض مع أختها أو تتضارب معها، وفي كل الأحيان يتم ذلك عن طريق راوية واحد، كما يحصل في الروايات التي تنسب لابن عباس، فلقد
رووا عن ابن عباس قوله مرة أن شاهد هذه الآية هو عبد الله بن سلام، وأخرى بأنهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وثالثة: بأنه كان يقول: ومن عند الله علم الكتاب، ونفس الأمر
تلحظه في الروايات التي رووها عن مجاهد وقتادة.
وعدم الإلزام الذي نتحدث عنه بالنسبة لأهل السنة إنما سنه نفس هؤلاء الرواة، فلقد
روى – فيما رووه – سعيد بن منصور عن قتادة بأنه عبد الله بن سلام، غير أنه في موضع آخر
يروي قول قتادة: كان الحسن يقرؤها: ومن عند الله علم الكتاب، ونفس الأمر في رواية مجاهد
بأنه عبد الله بن سلام غير أنه قال في مكان آخر: هو الله هكذا قرأها الحسن.
على أنه ليس من العسير على المرء أن يلاحظ في الروايات التي اعتمدها أهل العامة في هذا الخصوص هو الحجم الكبير من التعارض والتضارب بين الروايات التي تحدثت ضمن هذا
الاتجاه، فلقد روى الطبري – مثلا –

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مرة أن الآية نزلت بحق عبد الله بن سلام، وأخرى قال هم
أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وثالثة: رجل من الإنس ولم يسمه، ورابعة: أناس من أهل
الكتاب كانوا يشهدون بالحق ويقرون به ويعلمون أن محمدا رسول الله كما يحدث أن منهم عبد
الله بن سلام، وخامسة: كان منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري. (١)
وهذا التضارب إن لوحظ بلحاظ روايات الاتجاهات الأخرى التي ذكرتها كتب العامة
تحصل على صورة أكثر إرباكا للحقيقة، خصوصا تلك الروايات التي تحدثت عن مكية السورة،
والتي نفى المحدث فيها وبشدة أن تكون الآية قد نزلت بحق عبد الله بن سلام كما في الرواية التي
يرويها الطبري والنحاس في ناسخه بإسناده إلى أبي يسر (بشر) قال: قلت لسعيد بن جبير: " ومن
عنده علم الكتاب " أهو عبد الله بن سلام؟ قال: وكيف يكون عبد الله بن سلام والسورة مكية، ثم قال النحاس معقبا: أنكر هذا سعيد بن جبير لأن السورة مكية

---

(١) تفسير الطبري ١٣: ١١٨ - ١١٩. وقريب منه فعل السيوطي في الدر المنثور ٤: ٦٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة. (١)
وهذه الأمور إن لوحظ فيها اعتبار آخر، وهو أن بعض هذه الروايات مروية عن صاحب العلاقة مباشرة بالشكل الذي يجعل احتمال الكذب فيها قائما للتسالم على وجود مصلحة واضحة لرواية من هذا القبيل.
أقول: لو جمعت هذه الأمور بمجموعها فإن من حق المرء أن يتساءل عن المصداقية الحقيقية – ضمن علم الرواية – لمثل هذه الأحاديث، فلا هي وردت عبر مصدر شرعي، ولا هي
مأخوذة بطرق منتظمة خالية من الارتباك، ولا هي متوافقة فيما بينها، فعلام إذن يتم التعلق بهذه
الروايات دون غيرها؟.
ولئن كان المناط هو أخذ روايات العامة ومفارقة روايات أهل البيت (ع) فلقد روى أهل العامة أيضا بطرقهم أن الآية نزلت بحق علي، فلماذا لا تؤخذ روايتهم هذه، خاصة وأنها تنسجم
مع معطيات المنحى الروائي الذي ينحو إليه البعض، فأهل العامة لا مصلحة لهم في الكذب إن
قالوا بأنه علي بن أبي طالب (صلوات الله

---

(١) تفسير الطبري ١٣: ١١٩، والناسخ والمنسوخ: ١٧٣.
مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت. وعنهما الدر المنثور ٤:
٦٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليه).
إننا نرى أن علم الحديث يقف إلى الضد من هذا الاتجاه، كما رأينا في أبحاث الدلالة إباء انطباق القرائن الموضوعية على ما أشارت إليه هذه الروايات، فما هو الأمر الذي جعل تيار الانحراف يتجه للأخذ بمثل هذه الروايات على الرغم من وضوح ارتباكها واضطرابها؟.
لكان الأمر طبيعيا لو أن رواية أهل البيت (ع) في هذا المجال كانت منعدمة، أو أنها كانت لا تحقق ضابط الوثاقة في الأسانيد المروية عنهم (ع)، أما مع وفرتها، واتساقها ضمن ضوابط
صحة الصدور والرواية، فإن الأمر لا يحكي - ولا بأي صورة من الصور - عن انسجام تفكير
تيار انحراف مع هذه المدرسة، فضلا عن أن يكون ممثلا لها!.
وكان بإمكان هذا التيار الادعاء بدعوى إدخال أمثال المغيرة بن سعيد العجلي وأضرابه من الكذبة ووضاع الحديث، الأخبار في كتب أصحاب الإمام الباقر والصادق (ع) كما أشار إلى
ذلك محمد حسين فضل الله بقوله: إننا نحاول أن نلفت النظر إلى حقيقة تاريخية أساسية، وهي
قضية الدس والوضع في الأحاديث المنقولة عن النبي والأئمة والصحابة الذي يفرضه ويمليه الواقع

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

السياسي من جهة، والاتجاه المذهبي من جهة أخرى تبعا لانتماءات الرواة السياسية والمذهبية أو
لمصالحهم مع هذا الفريق أو ذاك الفريق، مما يبعث على الحذر الكبير والدقة المتناهية فيما يأخذه
الإنسان من الأخبار وفيما يدعه منها، حتى في أحاديث الثقاة الثقاة من الرواة، لأن الوضاعين قد
اتبعوا أسلوبا خبيثا في إعطاء الثقة لأخبارهم المكذوبة، وذلك بأن يدسوا أخبارهم في كتب هؤلاء الثقاة بتقليد خطوطهم، وإفساح المجال لها في المواضع غير المكتوبة في تلك الكتب التي
يحصلون عليها بطريق الاستعارة، فلا ينتبه إليها الآخرون وتمر الكذبة على أساس ذلك باسم
الثقاة من حيث لا يشعرون. (١)

ولكن ما عبر عنه بالحقيقة التاريخية ما لها تعمل فقط في عموم الرواية الشيعية، ولا تعمل لدى تيار الانحراف في داخل الرواية العامية! خصوصا وأن المقتضيات السياسية لوضع الحديث
التي يشير إليها في طرحه هذا، لها تفعيل رسمي في خارج مدرسة أهل البيت (ع) بما لا مجال
للشك فيه.

ورغم أن مدرسة أهل البيت (ع) قد عالجت

---

(١) الإسلام ومنطق القوة، محمد حسين فضل الله: ٢٤٨ الدار الإسلامية – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مشكلة الوضع هذه إلى حد بعيد،
والمشكلة التي خلقها مثل المغيرة بن سعيد وأبي الخطاب الأسدي قد عولجت فورا، وهذه المعالجة كانت حاكمة في جميع كتب أصحاب الأئمة، وقد تولى الإمام الصادق ومن بعده الإمام
الرضا (ع) بحركة تشذيب شاملة للكتب المروية عنهم جندوا لها أمثال محمد بن مسلم الثقفي
وأبان بن تغلب في عهد الصادق (ع)، ومحمد بن أبي عمير في عهد الإمام الكاظم (ع) ويونس بن
عبد الرحمن وصفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي في عهد الإمام الرضا (ع)،
ثم تعاقبت هذه في زمن الإمام الهادي العسكري (ع) عبر تلاميذهم لا سيما الحسن والحسين بن
سعيد وأبناء مهزيار، وأحمد ابن محمد بن عيسى ومحمد بن الحسن الصفار، ولم تكتف هذه
المدرسة بذلك، بل وضعت شرائط قاسية وصارمة في قبول ورد الخبر، لا تعادلها أي صرامة
لدى أي مدرسة أخرى، أقول: رغم ذلك هل يا ترى أن الحذر الكبير الذي يدعو إليه هذا
الرجل، يعني أن نسقط عموم الحديث أو نلجأ إلى ضوابط علمية نحتكم إليها في قبول رد الحديث
أو الأخذ به. فإن قال بإسقاط الحديث، فلماذا عمل بأخذ رواية العامة دون الخاصة؟ وإن قال
باتباع نظام الضوابط، فأين هو الضوابط التي عمل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بموجبها فرفض حديث الخاصة وعمل بحديث
العامة، ولربما نستطيع أن نستجلي حقيقة موقفه هذا من خلال النص التالي حيث يقول:
ربما كان
توثيق أحاديث أهل البيت (ع) مشكلة معقدة من حيث اختلاف الرأي في أسس التوثيق
للنصوص المأثورة عنهم، وعن النبي محمد (ص)، وفي طبيعة الحقيقة التاريخية، في وثاقة
هذا الراوي
أو ذاك، مما يجعل الصورة غير واضحة الملامح في التعبير عن الخطوط الفكرية والفقهية
في منهج
أهل البيت الإسلامي، وقد تزيد المسألة إشكالا إذا لاحظنا اضطراب الأحاديث المروية
عنهم،
من حيث التعارض والتنافي بين الروايات، لا سيما أن بعضها قد يكون صادرا عن راو
واحد،
يروي الفكرة برواية، ليروي خلافها برواية ثانية. (١)
ولو قدرنا - جدلا - صحة ما ذهب إليه، فلماذا خص هذا المنهج بحديث أهل البيت
(ع)،
وها نحن للتو قد رأينا أخبار أهل العامة وهي تتضارب وتتنافى فيما بينها، ودواعي الوضع
فيها لأسباب سياسية وطائفية بينة، فلماذا لم يراع كل تلك الضوابط التي اشترطها على
حديث
أهل البيت (ع) في حديث أهل العامة فيما رواه

---

(١) مجلة المنطق العدد ١١٣: ٢٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

في قصة: " ومن عنده علم الكتاب "؟.
على أن هذه الضوابط التي فيها من التضبيب ما يكفي لرمي حديث أهل البيت (ع) بعيدا، وترك العمل بمقتضياته، لم نجدها تعمل لديه وهو يشرع فهما جديدا لمبدأ قبول الرواية، يقوم على
حساب احتمالات الكذب والصدق، فهو يقبل رواية ضعيفة لعدم وجود احتمال الكذب فيها،
ويرد أخرى صحيحة لاحتمال وجود الكذب فيها. (١)
وهذا الفهم الذي يترك المجال للاستحسان العقلي وحده برد أو قبول الروايات، يؤسس لمشروع يطال كل أنماط الحديث، ومعه يمكن لكل رواية ترويها طرق أهل البيت (ع) أن تكون
كاذبة، لأن دواعي مصلحتهم فيها واضحة، فهي تتحدث عن مذهبهم، وبالتالي يمكن الكذب
فيها، وبلحاظ أو دواعي المصلحة ومعايير اكتشاف الصدق والكذب تختلف من شخص لآخر،
ومن زمان لآخر، فإن ما لا ريب فيه أن هذا المنهج يؤسس لحالات:

---

(١) أنظر كتاب النكاح، محمد حسين فضل الله ١: ٥٨ دار الملاك - بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الأولى: وهي المباشرة إعطاء الحق لمدارس العامة برفض الحديث الإمامي وبعدها مقولة الإمامية، باعتبار الإمامية يتحدثون بما تمليه أسس المذهب، وهو أمر تكمن فيه مصلحتهم، وبالتالي يجعل داعي الكذب موجودا دائما، ومن ثم للقول بأن ما يتهم الشيعة به أهل العامة ليس
محقا، لأن تلكم المقولات ليس مقولات ثابتة، أو كما يسميها داعية هذا المنهج (غير مقدسة) فما
هو غير مقدس تكون: قداسته مقتصرة على الشخص الذي تثبت قداسته عنده – بحسب اجتهاده – فليس له أن يرجم غيره – ممن لا يرى رأيه – بإنكار المقدسات. (١)
والثانية: إنه يسمح بإيجاد حالة انتقائية للحديث تقوم على أساس ما يتناسب وعقلية
مدرسة الرأي والاستحسان، ومعه يمكن أن يضيع المقدار الأكبر من السنة الصحيحة، ومن ثم
لتنشأ حالة ثالثة وهي وجود سنة

---

(١) أنظر في تعديد نماذج المقولات غير المقدس الهامش اللاحق، وانظر في نص هذا القول: مجلة المناهج البيروتية، العدد الثاني،
مقالة الأصالة والتجديد، محمد حسين فضل الله ص ٦٣، ومجلة المعارج (العدد الخاص الثاني بفكر محمد حسين فضل الله)
الأعداد: ٢٨ – ٣١ تحت عنوان: فضل الله وتجديد الوظيفة الاجتهادية، الأصالة والتجديد ص ٣٠٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

متناقضة تسمح بوجود التهافت في داخلها، بالشكل الذي
قد يسمح في المحصلة النهائية بإسقاط السنة نهائيا، وهذا ما يلتقي بالنتيجة ما طرحناه سابقا،
وهو أن المطلوب إسقاط سنة المعصوم (ع)، ولو من خلال الاكتفاء بإسقاط حديث أهل البيت (ع)
عنها، وهذا ما يوضحه الرجل - على مستوى المنهج - في مجالات متعددة فبعد أن وصف
الاعتقادات الخاصة بمدرسة أهل البيت (ع) (١) وهي البديهيات الإسلامية من خلال وصفها
بالمتحولات التي لم تكن بالصراحة الكافية لجعلها فوق الخلاف، وليست موثوقة بشكل لا يمكن
الشك فيه، جاء

---

(١) (١) كالخلافة والإمامة والحسن والقبح العقليين (العدل) والعصمة في التبليغ أو في الأوسع من ذلك بحيث يشمل الأفعال جميعها
والآراء جميعها في شخصية الأنبياء والأئمة (ع)، وفي المسار الجسماني والروحاني، وفي مستوى علم الأنبياء والأئمة، ومن حيث
علم الغيب ووعي الأشياء في الكون والحياة وفي مسألة حدود الشرك والتوحيد وغير ذلك مما يتصل بالجانب العقيدي، وفي جانب
الشريعة في وجوب الخمس.. الخ. (أنظر مقالة الأصالة والتجديد: ٦٠، وكذا مجلة المعارج في العدد الخاص الثاني: ٣٠٤
مع بعض التحوير حيث أبدلت كلمة العصمة في الأولى، بكلمة الخاتمية في الثانية).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

في موضع آخر ليقول: (إن كل ما جاءنا من تراث فقهي وكلامي وفلسفي هو نتاج المجتهدين والفقهاء والفلاسفة والمفكرين، من خلال معطياتهم الفكرية، ولا يمثل الحقيقة إلا بمقدار
ما نقتنع به من تجسيده للحقيقة، على أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة، وبهذا فإننا نعتبر أن
كل الفكر الإسلامي – ما عدا الحقائق الإسلامية البديهية (١) – هو فكر بشري وليس فكرا إلهيا، قد
يخطئ فيه البشر في ما يفهمونه من كلام الله وكلام رسول الله (ص)، وقد يصيبون). (٢) أي
وعلى أي حال فإننا نجد من خلال هذه الملاحظات السريعة أن منهج الانحراف في مبانيه الروائية قد اعتمد

---

(١) أنظر في نماذج هذه الحقائق البديهية مقالته الأصالة والتجديد حيث يعطي مقولات العامة في أصول الدين وفروعه هذه
الصفة، ويستثني مقولات الإمامية من ذلك!.
(٢) حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، محمد حسين فضل الله، إعداد وتنسيق نجيب نور الدين: ٤٨٠ دار الملاك –
بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧.
ونلفت الانتباه هنا أن هذا الكلام مقتبس بصورة كبيرة من كتاب: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي للمستشرق الفرنسي
العلماني محمد أركون، ومن مقدسة هاشم صالح للكتاب ص ٩ دار الساقي – الطبعة الثانية، لندن ١٩٩٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

آراء أهل العامة (١)، ولكنه حتى في هذا الاعتماد لم يفلح في إيجاد التوافق بين ما يطرحه في حجج للخروج عن سنة أهل البيت، وبين ما التزم به من فكر العامة، فلا فكر العامة
قد وافق فهم القرآن، ولا رواياته كانت متوافقة مع منهج الانحراف في التعامل مع السنة، ولو تأمل
القارئ الكريم بهذا الأمر قليلا لما فوت فرصة التعرف على الهدف الحقيقي الذي يسعى تيار
الانحراف إليه.

---

(١) وهو اعتماد مؤقت في نظرنا!.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ب – (ومن عنده علم الكتاب) في سنة المعصوم (ع)

سنتعرف في هذا المبحث إلى الواقع الروائي في تفسير هذه الآية من خلال سنة المعصوم عليه السلام، حيث سنجد التوافق التام مع المعطيات التي خرجنا بها في المبحث القرآني في
مواصفات وخصائص الشاهد المطلوب للمهمة التي تطرحها الآية المباركة، مع بعض الإشارة إلى
صدى هذه الرواية في أوساط أهل العامة، ومن ثم ليغدو واضحا أي مجانبة ومفارقة عن فكر
أهل البيت عليهم السلام قد اقترفها داعية الانحراف.

وكعادتنا فإننا سنعتمد منهج التشدد السندي في توثيق الروايات التي سنذكرها (١) وذلك وفقا لمنهج

---

(١) رغم كونها غير ملزمة بأبحاث من هذا القبيل، لأن هذا المنهج إنما يطلب للفتوى فحسب.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

المقدس السيد الخوئي (قدس سره) باعتباره صاحب أكثر المناهج تشددا في مسائل
الجرح والتعديل، ففي صحيحة علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن يحيى،
عن محمد بن الحسن بن الوليد، عمن ذكره، عن ابن أبي عمير جميعا، عن ابن أذينة، عن بريد بن
معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم
الكتاب) قال: إيانا عنى، وعلي وأولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي (ص). (١)
ونفس الرواية رواها محمد بن الحسن الصفار بسند أخر عن محمد بن الحسين، ويعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير. (٢)
وفي صحيحة (٣) أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن أحمد بن محمد، عن حماد
بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: (قل
كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) هو [أهو خ. ل] علي بن أبي طالب

---

(١) الكافي ١: ٢٢٩ ح ٦.
(٢) بصائر الدرجات: ٢٣٤ - ٢٣٥ ج ٥ ب ١ ح ١٢.
(٣) الرواية الصحيحة هي ما كان رجال السند فيها من الموثوقين الإمامية.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليه السلام؟ قال: فمن عسى أن يكون غيره. (١)
وفي موثوقة (٢) يعقوب بن يزيد، عن الحسن بن علي فضال، عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت عنده فذكروا سليمان ابن داود، إنما كان عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وصاحبكم الذي قال الله: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وكان والله عند علي عليه السلام علم الكتاب، فقلت: صدقت والله جعلت فداك. (٣)
وفي صحيحة أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أيوب بن الحر، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع)، والنضر بن سويد، عن عصم بن
حميد، عن محمد بن مسلم، وفضالة بن أيوب، عن أبان، عن محمد بن

---

(١) (١) بصائر الدرجات: ٢٣٥ ج ٥ ب ١ ح ١٥.
(٢) الرواية الموثوقة هي ما كان جميع رواتها من الموثوقين ولكن الجميع أو البعض منهم ليسوا من الإمامية، وهي لهذا موثوقة
لموضع ابن فضال فيها، رغم الاعتقاد السائد بين بعض المحققين بأن الرجل لم يكن واقفيا.
(٣) بصائر الدرجات: ٢٣٢ ج ٥ ب ١ ح ١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مسلم، والنضر بن سويد،
عن القاسم بن سليمان، عن جابر جميعا، عن أبي جعفر (ع) في قول الله عز وجل: " قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب " قال: هو علي بن أبي طالب (ع). (١)
وفي موثوقة محمد بن الحسين، عن ابن فضال، عن مثنى الحناط، عن عبد الله بن
عجلان، عن أبي جعفر (ع) في قول الله عز وجل: " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب " قال: نزلت في علي (ع) عالم هذه الأمة بعد رسول الله (ص). (٢)
وفي صحيحة عبد الله بن أحمد بن نهيك، عن الحسن بن موسى، عن عبد الرحمن بن
أبي نجران، عن المثنى (٣) قال: سألته عن قول الله عز وجل:} ومن عنده علم الكتاب {قال:
نزلت في علي (ع) بعد رسول الله (ص) وفي الأئمة بعده. (٤)
وفي مؤيدة أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٥ ج ٥ ب ١ ح ١٤.
(٢) نفس المصدر: ٢٣٦ ج ٥ ب ١ ج ١٧.
(٣) هو المثنى الحناط الثقة.
(٤) بصائر الدرجات: ٢٣٤ ج ٥ ب ١ ح ٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ابن سعيد، عن محمد بن الفضيل، (١)
عن أبي الحسن (ع) في قول الله عز وجل: " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم
الكتاب " قال: هو علي ابن أبي طالب. (٢)
وفي صحيحة أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن أحمد بن حمزة، عن أبان بن عثمان، عن أبي مريم (٣) قال: قلت لأبي جعفر: هذا ابن

---

(١) اختلف علماء الرجال في شأن محمد بن الفضيل، فهل هو محمد بن الفضيل بن كثير الصيرفي الضعيف، أو أنه محمد ابن
القاسم بن الفضيل بن يسار الثقة الجليل، وفيما ذهب الشيخ المفيد (أعلى مقامه) إلى اعتباره من الفقهاء والرؤساء الأعلام، الذين
يؤخذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام، ولا يطعن عليهم بشئ، ولا طريق لذم واحد منهم. (معجم رجال الحديث ١٧:
١٤٧ رقم ١١٥٦٤).
فإن السيد الخوئي (قدس سره) قد أعلن أنه لا مجال لتخصيص إطلاق اسم محمد بن الفضيل على محمد بن القاسم الثقة، دون
الصيرفي الضعيف.
ولهذا فإن الرواية هنا تبقى معلقة بين الراوي الضعيف والآخر الثقة، ولكن احتمال الضعف هنا مجبور بتواتر الخبر.
(٢) بصائر الدرجات: ٢٣٥ ج ٥ ب ١ ح ١٣.
(٣) هو عبد الغفار بن القاسم الأنصاري الثقة.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عبد الله بن سلام يزعم أن أباه
الذي يقول الله: " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ". أقل كذب، ذاك
علي ابن أبي طالب. (١)
ولهذا تكون مرسلة (٢) يحيى الحلبي معتبرة فلقد روى أحمد بن محمد بن عيسى، عن البرقي، عن النضر ابن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بعض أصحابنا (٣) قال: كنت مع أبي جعفر (ع) في المسجد أحدثه إذ مر بعض ولد عبد الله بن سلام وقلت: جعلت فداك هذا ابن
الذي يقول الناس عنده علم الكتاب؟ قال: لا، إنما ذلك علي (ع) نزلت فيه خمس آيات أحدها:} قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب {. (٤)
وفي صحيحة محمد بن الحسين، ويعقوب بين يزيد، عن ابن أبي عمير، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر (ع)} قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب {قال: إيانا
عنى وعلي أولنا وأفضلنا

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٥ ج ٥ ب ١ ح ١٦.
(٢) الرواية المرسلة في واحدة من مواصفاتها هي الرواية التي يروي فيها الراوي عن شخص دون أن يسميه.
(٣) ولا يبعد أن يكون هذا هو أبو مريم المار.
(٤) بصائر الدرجات: ٢٣٤ ج ٥ ب ١ ح ١١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وخيرنا بعد النبي (ص). (١)
وفي المروية الآتية التي تروى عن عبد الله بن الوليد السمان بطرق متعددة، وبأجزاء
متفرقة أذكر منها صحيحة محمد بن عيسى بن عبيد، عن محمد بن عمرو، (٢)، عن عبد
الله بن
وليد السمان، قال: قال لي أبو جعفر (ع): يا عبد الله ما تقول الشيعة في علي وموسى
وعيسى.. الخبر، (٣) وصحيحة محمد بن إسماعيل، عن محمد بن عمرو الزيات، عن عبد
الله
بن الوليد قال: قال لي أبو عبد الله (ع): أي شئ يقول الشيعة في عيسى وموسى وأمير
المؤمنين (ع).. الخبر، (٤) وفي مرفوعة

---

(١) نفس المصدر: ٢٣٦ ج ٥ ب ١ ح ٢٠.
(٢) وفي الأصل: محمد بن عمر، وهو تصحيف والصحيح ما أوردناه، لعدم وجود من يروي محمد بن عيسى اليقطيني عنه
سوى محمد بن عمرو الزيات المدائني الثقة، ولعدم وجود راو عن عبد الله بن الوليد غيره، ولنص رواية الخرائج والجرائح القادمة،
وكذا صحيحة محمد بن عيسى بن عبيد المشار إليها.
وعلى فرض عدم صحة محمد بن عمرو هنا، فهو محمد بن أبي عمير الذي يرفع صحب الاحتجاج الخبر إليه. وبه يصح الخبر
أيضا.
(٣) بصائر الدرجات: ٢٤٨ ج ٥ ب ٥ ح ٣.
(٤) نفس المصدر: ٢٤٧ ج ٥ ب ٥ ح ١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الاحتجاج إلى محمد بن أبي عمير، عن عبد الله بن الوليد
قال: قال أبو عبد الله (ع): ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين (ع).. الخبر (١)،
وفي المرسلة المؤيدة بالصحاح المارة أحمد بن محمد، (٢) عن البرقي، عن رجل من الكوفيين، عن
محمد بن عمرو (٣) قال: قال أبو عبد الله (ع): ما يقول أصحابك في أمير المؤمنين (ع) وعيسى
وموسى أنهم أعلم؟ قال: قلت: ما يقدمون على أولي العزم أحدا، قال: أما إنك لو حاججتهم
بكتاب الله لحججتهم، قال: قلت: وأين هذا في كتاب الله؟ قال: إن الله قال في موسى: " وكتبنا
له في الألواح من كل شئ موعظة " (٤) ولم يقل كل شئ، وقال في عيسى: " ولأبين لكم بعض
الذي تختلفون فيه " (٥) ولم يقل كل شئ، وقال في صاحبكم: كفى بالله

---

(١) الاحتجاج: ٣٧٥.
(٢) أغلب الظن أنه أحمد بن محمد بن خالد البرقي. وغلا فهو أحمد بن محمد بن عيسى.
(٣) يرد هنا نفس ما أوردناه في الهامش السابق في معرض تصحيح اسم محمد بن عمر إلى محمد بن عمرو الزيات المدائني.
(٤) الأعراف: ١٤٥.
(٥) الزخرف: ٦٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

شهيدا بيني وبينكم ومن
عنده علم الكتاب ". (١)
وقريب منها وبتفصيل أكثر: صحيحة سعد بن عبد الله، عن محمد بن عيس بن عبيد،
عن محمد بن عمرو، عن عبد الله بن الوليد السمان قال: قال الباقر (ع): يا عبد الله ما
تقول في
علي وموسى وعيسى؟ قلت: ما عسى أن أقول فيهم؟ قال: هو والله أعلم منهما، ثم قال:
ألستم تقولون: إن لعلي ما لرسول الله من العلم؟ قلت: نعم، والناس ينكرون.
قال: فخاصمهم فيه بقوله تعالى لموسى: " وكتبنا له في الألواح من كل شئ " فعلمنا أنه لم
يكتب له الشئ كله!.
وقال لمحمد (ص): " وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل
شئ ". (٢) قال: فسئل عن قوله: " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم
الكتاب "
قال: والله إيانا عنى، وعلي أولنا وأفضلنا

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٤٩ ج ٥ ب ٥ ح ٦.
(٢) النحل: ٨٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وخيرنا بعد رسول الله (ص). (١)
وفي صحيحة علي بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله (ع) قال: الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين (ع) وسئل عن الذي عنده علم
من الكتاب أعلم، أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب
عنده الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعض بجناحها من ماء البحر، فقال أمير المؤمنين (ع): ألا إن العلم الذي هبط به لآدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى
خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين. (٢)
وهذا الكم الكبير من الروايات والذي يستقطب عهود الأئمة الباقر إلى الرضا (ع) حيث نجد ما لا يقل عن ثلاثة أجيال من الرواة، قد تعاقبوا على نقل الخبر، يبلغ بالخبر حد التواتر، ما
يجعل الأخبار الموصوفة بضعفها بسبب جهالة الرواة، أو إهمالهم، أو بالإرسال الذي فيها، أو
بضعف نفس الرواة، أو بعاميتهم، (٣) ترقى

---

(١) الخرائج والجرائح: ٧٩٨ - ٧٩٩ ب ١٦ ح ٨.
(٢) تفسير القمي ١: ٣٦٨.
(٣) جهالة الراوي تعبير عن عدم اتضاح حاله من حيث الوثاقة والعدم، وإهماله تعبير عن عدم حديث علماء الرجال عن حاله، وعاميته كونه من رجال العامة.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إلى الأخبار المقبولة، ومن جملة هذه الأخبار نجد
الروايات التالية:
فقد روى محمد بن الحسين (١)، عن النضر بن شعيب (٢)، عن محمد بن الفضيل، (٣) عن
أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (ع) قال: سمعته يقول في قول الله تبارك وتعالى: (ومن عنده علم
الكتاب) قال: الذي عنده علم الكتاب هو علي بن أبي طالب. (٤)
وروى محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر
بن سويد، عن القاسم بن سليمان (٥) عن جابر قال: قال أبو جعفر في

---

(١) ورد في الأصل: محمد بن الحسن، وهو تصحيف، والصحيح هو ما أثبتناه لعدم وجود محمد بن الحسن في هذه الطبقة له
خصيصة الرواية عن النضر بن شعيب، على أن من الواضح أن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب هو راوي كتاب النضر.
(٢) النضر بن شعيب لم يوثق.
(٣) المظنون أنه محمد بن الفضيل الصيرفي الضعيف.
(٤) نفس المصدر: ٢٣٦ ج ٥ ب ١ ح ١٩.
(٥) ذكره النجاشي من دون توثيق، وكذا الشيخ في الفهرست،
ولكن رواية كتابه من قبل النضر بن سويد (رضوان الله تعالى
عليه وهو من أعلام الطائفة) يدل على ركون لحديثه.
ولكن هذا الأمر حيث لا يدل على التوثيق، إلا أن عدم وثاقته مجبورة بورود الخبر بأسانيد صحيحة وموثوقة، فيصح.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

هذه الآية: (قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: هو علي بن أبي طالب. (١)
ومن ذلك ما روى ثقة الإسلام الكليني (قدس الله نفسه الطاهرة) عن محمد بن يحيى،
عن أحمد بن أبي زاهر، عن الخشاب، عن علي بن حسان (٢)، عن عبد الرحمن بن كثير، عن
أبي عبد الله (ع) قال: (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك
طرفك) (٣) قال: ففرج أبو عبد الله عليه السلام بين أصابعه فوضعها في صدره، ثم قال: وعندنا
والله علم الكتاب كله. (٤)
وروى الصفار، عن إبراهيم بن هاشم، عن محمد

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٣ ج ٥ ب ١ ح ٤.
(٢) علي وعمه عبد الرحمن موصوفان بالضعف، وما خلاهما من أهل الثقة.
(٣) النمل: ٤٠.
(٤) الكافي ١: ٢٢٩ ح ٥. ومثله ولكن عن أحمد بن موسى، عن الخشاب، عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي روى
الصفار الخبر في البصائر: ٢٣٢ ج ٥ ب ١ ح ٢.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ابن سليمان، عن سدير (١) قال: كنت
أنا وأبو بصير وميسر ويحيى البزاز وداود الرقي ي مجلس أبي عبد الله (ع) إذ خرج إلينا وهو
مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجبا لأقوام يزعمون إنا نعلم الغيب وما يعلم [الغيب] إلا
الله، لقد هممت بضرب خادمتي فلانة، فذهبت عني فما عرفتها في أي بيوت الدار هي، (٢) فلما

---

(١) كذا هو الصحيح، وفي المصدر: محمد بن سليمان بن سدير، وهو تصحيف ظاهر. مع العلم أن محمد بن سليمان هذا
ضعيف.

(٢) يتخذ تيار الانحراف من هذا المقدار من الرواية حجة على عدم علم الإمام (ع)، وقد فصلنا الحديث عن ذلك في
كتابينا القادمين: علم المعصوم (ع)، والإمامة: بحث في الضرورة والمهام، وبمقدار أقل في الطبعة الثانية في الفصل الأخير من كتابنا
الولاية التكوينية، الحق الطبيعي للمعصوم (ع)، ولكن لا بد هنا من القول وبشكل موجز: بأن علم الإمام إنما ينقسم إلى قسمين، فما
يرتبط بالعلوم المتعلقة بشؤون الرسالة والهداية والدين فمما لا شك فيه أن لديه العلم كله، وخلافه يؤدي إلى القول به، فلا يمكن
تصور إمام يمارس مهمة الإمامة الدينية، وهو لا يملك العلم الشامل والتفصيلي بكل ما يتعلق بمادة إمامته، لأن خلافه سيؤدي إلى
القول بأن الحجية الإلهية الكاملة لم تنجز عليه.
أما فيما يتعلق بالشؤون الخارجة عن مدار الإمامة كما في الموضوعات الخارجية غير المرتبطة بشؤون الدين، فعلى رأي بعض
القدامى بأنه ما من ضرورة لأن يعلمها بكل تفاصيلها، ولكنه إن احتاجها علمها، وهو مناط قولهم (ع): إن احتجنا إلى العلم
علمنا، ولكن علمهم هنا لن يكون علما كسبيا، وإنما يتم بطرق التعليم الخاصة بالعلم الإلهي كالإلهام أو النكث في القلوب، أو النقر
في الأسماع، أو بتكليم ملك، أو بإحالة الأشمل التي يعبر عنها بملازمة روح القدس لهم. وذلك ضمن تفصيل لا يتسع المجال له
هنا.
ولكن يشكل على ذلك أن نفس القول بعلم الإمامة لغرض الإمامة يستدعي امتداد هذا العلم إلى الموضوعات الخارجية بشقيها
الفني والموضوعي، ففي الشق الفني إن قلنا بأن وظيفتهم كأئمة تستدعي منهم أن يعلموا كل ما في القرآن لغرض بيانه، فها هو القرآن
يتحدث عن كثير من الأمور ذات المساس الواضع بهذه العلوم كالفلك والفسلجة والنبات وغيرها، وحيث أن الإمام ملزم بالتبيان
وجب علمه بكل التفاصيل المتعلقة بأمور كهذه، أما في الجانب الموضوعي كمن قبيل الرواية أعلاه لو صحت دون ذيلها المناقض
لصدرها ففيه أن الكثير من هذه الشؤون ترتبط بمهمة الإمامة مما يلحقها بالعلم الخاص، وجميعها تدخل في شؤون الإمامة الشاهدة
مما يجعل الحديث يتمايز العلم بالموضع
الخارجي عن علم الإمامة سالب بانتفاء الموضوع، وهذا هو الذي يسمونه بأعلم أحاديث في

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الليل والنهار، ومما يدلل على هذا الأمر حديثنا القادم عن سورة القدر.

(١٢٥)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أن قام من مجلسه وصار في منزله، دخلت أنا وأبو بصير وميسر على أبي عبد الله (ع) فقلنا له: جعلنا فداك سمعناك تقول كذا وكذا في أمر خادمتك، ونحن نعلم أنك تعلم علما كثيرا، ولا
ننسبك إلى علم الغيب، قال: فقال: يا سدير ما تقرأ القرآن؟ قال: قلت: قرأناه جعلت فداك، قلا: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: " قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن
يرتد إليك طرفك "؟ قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل، وعلمت ما
كان عنده من عمل الكتاب قال: قلت: فأخبرني حتى أعلم قال: قدر قطرة من المطر الجود (١)
في البحر الأخضر، ما يكون ذلك من علم أكثره إن لم ينسبه إلى العلم الذي أخبرك يا سدير، فهل
وجدت فيما قرأت من كتاب الله: " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده عمل الكتاب "
كله قال: وأومأ بيده إلى صدره فقال: علم الكتاب كله والله عندنا ثلاثا. (٢)

---

(١) أي المطر الكثير.
(٢) بصائر الدرجات: ٢٣٣ ج ٥ ب ١ ح ٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وروى الصفار، عن أحمد بن الحسن بن فضال، عن عبد الله بن بكير، عن نجم، عن أبي جعفر (ع) في قول الله تعالى: " قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب " (١)
قال: علي (ع) عنده علم الكتاب.
وبإسناده عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن إبراهيم الأشعري، عن محمد بن مروان، عن نجم، عن أبي جعفر (ع) في قول الله عز وجل:} قل كفى بالله شهيدا بيني
وبينكم ومن عنده علم الكتاب {قال: صاحب علم الكتاب علي (ع). (٢)
وبإسنادها أيضا عن بعض أصحابنا، عن الحسن بن موسى، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عز وجل:} قال كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم
الكتاب {قال: إيانا عنى، علي أولنا وأفضلنا وخيرنا. (٣) وقد مر الحديث بسند صحيح.
وبإسناده عن أحمد بن محمد، عن الربيع بن محمد، عن النضر بن سويد، عن موسى بن بكر، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبد الله (ع)، بإسناده أيضا

---

(١) نفسه: ٢٣٣ - ٢٣٤ ج ٥ ب ١ ح ٥.
(٢) نفسه: ٢٣٤ ج ٥ ب ١ ح ٦.
(٣) نفسه: ٢٣٤ ج ٥ ب ١ ح ٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عن عباد بن سليمان، عن سعد
بن سعد، عن أحمد بن عمر، عن أبي الحسن الرضا (ع) أنهما قالا في قول الله عز وجل:{ قل كفى
بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب {قال: علي (ع). (١)
وأيضا بإسناده عن عبد الله بن محمد، عمن رواه، عن الحسن بن علي بن النعمان, عن
محمد بن مروا, عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر (ع) في قول الله عز وجل:} قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب {قال: نزلت في علي بن آبي طالب، إنه عالم هذه
الأمة بعد النبي (ص). (٢)
وبإسناده عن أبي الفضل العلوي قال: حدثني سعيد ابن عيسى الكزبري البصري، عن
إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن شريك بن عبد الله، عن عبد الأعلى الثعلبي، عن أبي
تمام، عن سلمان الفارسي (رحمة الله عليه)، عن أمير المؤمنين (ع) في قول الله تبارك وتعالى:} قل
كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب {فقال: أنا هو الذي عنده علم الكتاب
وقد صدقه الله وأعطاه الوسيطة في الوصية، ولا تخلى أمة من وسيلته

---

(١) نفسه: ٢٣٤ ج ٥ ب ١ ح ٨ و ٩.
(٢) نفسه: ٢٣٦ ج ٥ ب ١ ح ١٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إليه، وإلى الله فقال:} يا
أيها الذين أمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة {. (١)
وروى الراوندي أقل: أخبرنا جماعة منهم: السيدان المرتضى والمجتبى بنا الداعي
الحسني، والأستاذان أبو جعفر وأبو القاسم ابنا كميح، عن الشيخ أبي عبد الله جعفر ابن
محمد
بن العباس، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى، عن أبيه، عن
سعد بن
عبد الله، عن علي بن محمد بن سعد، عن حمدان بن سليمان النيسابوري، عن عبد الله بن
محمد اليماني، عن منيع بن الحجاج، عن الحسين بن علوان، عن أبي عبد الله (ع) قال:
إن الله
فضل أولي العزم من الرسل بالعلم على الأنبياء، وورثنا علمهم وفضلنا عليهم في فضلهم،
وعلم
رسول الله ما لا يعلمون وعلمنا علم رسول الله (ص) فروينا لشيعتنا فمن قبله منهم فهو
أفضلهم
أينما نكون فشيعتنا معنا وأقل (ع): تمصون الرواضع (الثماد) (٢) وتدعون النهر العظيم؟
فقيل: ما
تعني بذلك؟ قال: إن الله أوحى إلى رسول

---

(١) بصائر الدرجات: ٢٣٦ ج ٥ ب ١ ح ٢١. والآية في المائدة: ٣٥.
- ما بين القوسين هو ما في رواية البصائر، ولعلها النسب.
بصائر الدرجات: ٢٤٨ ج ٥ ب ٥ ح ٤. والثماد: الماء القليل الذي يتجمع بعد المطر بحيث أنه لا تكون له مادة تنقب فيه.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله (ص) علم النبيين بأسره، وأسره إلى أمير
المؤمنين (ع) فقيل: عليه (ع) أعلم أو بعض الأنبياء؟ فقال: إن الله يفتح مسامع من يشاء، أقول: إن
رسول الله (ص) حوى علم جميع النبيين, وعلمه الله ما لم يعلمهم، وأنه جعل ذلك كله عند علي
فتقول: علي أعلم أو بعض الأنبياء!! وتلا:} قال الذي عنده علم من الكتاب {ثم فرق بين أصابعه فوضعها على صدره وأقل: عندنا والله علم الكتاب كله. (١)
وروى الشيخ محمد بن أبي القاسم الطبري بإسناده إلى أبي أحمد يحيى بن يحيى المقري الفتى الظريف قال: وجدت في كتاب عمي الفضل فيما كتبه عن أبي منصور أحمد بن العباس،
عن أبيه، عن الفضل بن يحيى – في حديث طويل – قال: سئل أبو جعفر محمد بن علي (الجواد)
عن قول الله إلى أن يقول: فقوله:} قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب {
قال: إيانا عنى، وعلي أقضانا وأولنا وخيرنا بعد النبي (ص). (٢)
وروى سليم بن قيس العامري في كتابه عن الأمير

---

(١) الخرائج والجرائح: ٧٩٦ – ٧٩٧ ب ١٦ ح ٦.
ونفس الرواية أوردها صاحب مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله الأشعري ص ١٠٨.
(٢) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ١٩٣ – ١٩٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(ع) قال: الذي قال الله: (ويتلوه
شاهد منه) (١) والذي (عنده علم الكتاب) و (والذي جاء بالصدق) (٢) والذي صدق به، أنا. (٣)
وروى الحبري (٤) في تفسيره قال: حدثني سعيد بن عثمان، عن أبي مريم قال: حدثني عبد الله بن عطاء قال: كنت جالسا مع أبي جعفر في المسجد فرأيت أبنا لعبد الله ابن سلام
جالسا في ناحية، فقلت لأبي جعفر: زعموا إن أبا هذا الذي: (عنده علم الكتاب) قال: لا إنما
ذلك علي بن أبي طالب أمير المؤمنين. (٥)
وما يقرب منه روى العياشي مرسلا عن عبد الله بن عطاء قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: هذا ابن عبد الله بن سلام بن عمران يزعم أن أباه الذي يقول الله: (قل كفى بالله شهيدا
بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: كذب، هو علي بن أبي طالب (ع). (٦)

---

(١) هود: ١٧.
(٢) الزمر: ٣٣.
(٣) كتاب سليم بن قيس: ٦٨.
(٤) أبو عبد الله الكوفي الحسين بن الحكم بن مسلم الحبري من أعلام القرن الثالث توفي سنة ٢٨٦.
(٥) تفسير الحبري: ٢٨٥ - ٢٨٦ رقم ٤١.
(٦) تفسير العياشي ١: ٢٣٦ ح ٧٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وعن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر (ع) قال: سألته عن قوله: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) فقال: نزلت في علي بعد الرسول الله (ص) وفي
الأئمة بعده وعلي عنده علم الكتاب. (١)
وعن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: (ومن عنده علم الكتاب) قال: نزلت في علي عليه السلام إنه عالم هذه الأمة بعد النبي (صلوات الله عليه وآله). (٢)
وعن بريد بن معاوية العجلي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: إيانا عنى، وعلي أفضلنا وأولنا وخيرنا بعد النبي (ص). (٣)
وروى الشيخ المفيد رحمه الله عن رجاله مسندا إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: يا سلمان الويل كل الويل لمن لا يعرف لنا حق معرفتنا وأنكر
فضلنا، يا سلمان أيما أفضل محمد (ص) أو سليمان ابن داود عليه السلام؟ قال سلمان: فقلت:
بل محمد (ص) فقال: يا سلمان هذا أصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش

---

(١) نفسه ١: ٢٣٦ ح ٧٩.
(٢) تفسير العياشي ١: ٢٣٦ ح ٨٠.
(٣) نفسه ١: ٢٣٦ ح ٧٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بلقيس من سبأ إلى
فارس (١) في طرفة عين، وعند علم من الكتاب ولا أقدر أنا وعندي علم ألف كتاب! إلى أن
قال: اعلم يا سلمان إن الشاك في أمورنا وعلومنا كالممتري في معرفتنا وحقوقنا وقد فرض الله
تعالى ولايتنا في كتابه في غير موضع، وبين فيه ما وجب العمل به وهو مكشوف. (٢)
وإزاء هذه الكمية الكبيرة من الروايات الصحيحة، وغيرها من الروايات الضعيفة المؤيدة بورودها عبر الأسانيد الصحيحة التي تعمل على جبر ضعفها، فمن الحق التساؤل عن الأسباب
التي تجعل تيار الانحراف يغض النظر عنها بمجموعها، ليأخذ ببعض روايات العامة، علما أن
الدلالات القرآنية كما وجدناها بعيدة كل البعد عن النهج الذي سار عليه تيار الانحراف، ناهيك
عن أن الأئمة عليهم السلام أعربوا عن تسفيه الدلالات التي حاول البعض تزييف الفهم القرآني
بها.
فلو كان تيار الانحراف إماميا، بل ومن أعلام

---

(١) كذا في المصدر، ولعل فيه تصحيف أو توهم من الراوي.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ٢٤٠ ح ٢٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الإمامية – كما يدعي البعض – فما له
يضرب عن روايات أهل البيت عليهم السلام الصحيحة والموثوقة صفحا، ويتنكر لمجموعة ضخمة
من روايات أخرى لها نفس المصداقية، تؤكد على مفهوم هذه الروايات – كما سنظهر بعد قليل –
ويأخذ بروايات سبق لأهل البيت عليهم السلام أن كذبوها؟ أو ليس أهل البيت يعني العمل بسنتهم؟!.
ولو لم يكن إماميا، فما له لم يأخذ بالروايات المتعلقة بشأن نزول الآية بحق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والموجودة في كتب العامة فلقد روى الجوزي عن ابن الحنفية قوله: أنه علي
بن أبي طالب. (١)
ونقل القرطبي عن عبد الله بن عطاء قوله: قلت لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم): زعموا أن الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام؟ فقال إنما ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم قال: القرطبي: وكذلك قال محمد بن الحنفية. (٢)
ونقل القندوزي، عن الثعلبي، وابن المغازلي الشافعي بسنديهما عن عبد الله بن عطاء قال: كنت مع محمد الباقر رضي الله عنه في المسجد فرأيت ابن عبد الله بن سلام

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٤: ٢٥٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ٩: ٢٢٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فقلت: هذا
ابن الذي عنده علم الكتاب؟ قال: إنما ذلك علي بن أبي طالب. (١)
وكذا نقل عن الثعلبي وأبي نعيم بسنديهما عن زاذان، عن محمد بن الحنفية قال: من
(عنده علم الكتاب) علي بن أبي طالب. (٢)
ونقل عن الفضيل بن يسار، عن الباقر عليه السلام قال: هذه الآية نزلت في علي عليه
السلام إنه عالم هذه الأمة. (٣)
ونقل جملة من الأحاديث من طرق أهل البيت عليهم السلام قد ذكرناها سابقا ومن
جملتها ما رواه عن الصادق عليه السلام أن قال: علم الكتاب كله والله عندنا، وما أعطي
وزير
سليمان بن داود عليهم السلام، إنما عنده حرف واحد من الاسم الأعظم، وعلم بعض
الكتاب
كان عنده قال تعالى: (قال الذي عنده علم الكتاب) أي بعض الكتاب (أنا أتيك به قبل أن
يرتد
إليك طرفك) قال أبو عبد الله: إن الله تبارك وتعالى: قال لموسى: (وكتبنا له في الألواح
من كل
شئ موعظة) (٤) بمن

---

(١) ينابيع المودة ١: ٣٠٥ ب ٣٠ ح ١.
(٢) ينابيع المودة ١: ٣٠٧ ب ٣٠ ح ٢.
(٣) نفسه: ح ٣.
(٤) الأعراف: ١٤٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

التبعيض، وقال عيسى عليه السلام: (ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) (١)
بكلمة البعض، وقال في علي عليه السلام: (ومن عنده علم الكتاب) أي الكتاب، وقال: (ولا
رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) (٢) وعلم هذا الكتاب عنده. (٣)
وعن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سألت رسول الله
(ص) عن هذه الآية: (الذي عنده علم من الكتاب) قال: ذاك وزير أخي سليمان بن داود عليهما
السلام، وسألته عن قول الله عز وجل: (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب. (٤)
وقال: وقد روي عن موسى بن جعفر، وعن زيد ابن علي، وعن محمد بن الحنفية،
وعن سلمان الفارسي، وعن أبي سعيد الخدري، وإسماعيل السدي أنهم قالوا في قوله تعالى: (قل
كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب): هو علي بن أبي

---

(١) الزخرف: ٦٣.
(٢) الأنعام: ٥٩.
(٣) ينابيع المودة ١: ٣٠٦ ب ٣٠ ح ٦.
(٤) نفس المصدر: ٣٠٧ ح ٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

طالب. (١)
وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: من (عنده علم الكتاب) إنما هو علي، لقد كان عالما بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ. (٢)
وروي عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قوله: عند أبي أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه) علم الكتاب الأول والآخر. (٣)
ونقل عن سليم بن قيس، عن قيس بن سعد بن عبادة أن قال: (ومن عنده علم الكتاب) علي. قال: معاوية بن أبي سفيان: هو عبد الله بن سلام قال [قيس ابن] سعد: أنزل الله: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) (٤) وأنزل: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) (٥) فالهادي من الآية الأولى، والشاهد من الآية الثانية علي، لأنه نصبه (ص) يوم الغدير،
وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه

---

(١) نفس المصدر: ٣٠٧ ح ٨.
(٢) نفس المصدر: ٣٠٨ ح ١١.
(٣) نفسه: ٣٠٨ ح ١٢.
(٤) الرعد: ٧.
(٥) هود: ١٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

لا نبي بعدي،
فسكت معاوية ولم يستطع أن يردها. (١)
ثم قال نقلا عن بعض المحققين: إن الله تبارك وتعالى بعث خاتم أنبيائه وأشرف رسله وأكرم خلقه بمنه وتحننه وفضله العظيم، بسابق علمه ولطفه بعد أخذه العهد والميثاق على أنبيائه
وعباده بمحمد (ص) بقوله: (لتؤمنن به ولتنصرنه) (٢) ولما فتح الله أبواب السعادة الكبرى والهداية
العظمى برسالة حبيبه على العرب وقريش وخصوصا على بني هاشم بقوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) (٣) ورهطك المخلصين، اقتضى العقل أن يكون العالم بجميع أسرار كتاب الله،
لا بد أن يكون رجلا من بني هاشم بعد النبي (ص)، لأنه أقرب له من سائر قريش، وأن يكون
إسلامه أولا ليكون واقفا على أسرار الرسالة وبدء الوحي، وأن يكون جميع الأوقات عنده بحسن
المتابعة ليكون خبيرا عن جميع أعماله وأقواله، وأن يكون من طفوليته منزها من أعمال الجاهلية
ليكون متخلقا بأخلاقه ومؤدبا بآدابه ونظيرا بالرشيد من أولاده فلم يوجد هذه الشروط لأحد إلا في علي عليه السلام.

---

(١) ينابيع المودة ١: ٣٠٨ - ٣٠٩ ح ١٣.
(٢) آل عمران: ٨١.
(٣) الشعراء: ٢١٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وأما عبد الله بن سلام لم يسلم إلا بعد الهجرة فلم يعرف سبب نزول السور التي نزلت قبل الهجرة، ولما كان حاله هذه لم يعرف حق تأويلها بعد إسلامه، مع أن سلمان الفارسي الذي
صرف عمره الطويل – ثلاثمائة وخمسين سنة – في تعلم أسرار الإنجيل والتوراة والزبور وكتب
الأنبياء السابقين والقرآن لم يكن من (عنده علم الكتاب) لفقده الشروط المذكورة، فكيف يكون
من (عنده علم الكتاب) ابن سلام الذي لم يقرأ الإنجيل ولم يوجد فيه الشروط، ولم يصدر منه مثل
ما صدر من علي يعسوب الدين من الأسرار والحقائق في الخطبات مثل قوله: (سلوني قبل أن
تفقدوني فإن بين جنبي علوما كالبحار الزواخر) ومثل ما صدر من أولاده الأئمة الهداة (عليهم
سلام الله وبركاته) من المعارف والحكم في تأويلات كتاب الله وأسراره. (١)
ونقل الحاكم الحسكاني الحنفي في كتابه شواهد التنزيل أغلب هذه الروايات (٢)

---

(١) ينابيع المودة ١: ٣٠٩ – ٣١٠.
(٢) شواهد التنزيل ١: ٣٠٧ – ٣٠٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وكان ابن المغازلي الشافعي قد قال: أخبرنا أحمد ابن محمد بن طاوان إذنا أن أبا أحمد عمر بن عبد الله بن شوذب أخبرهم قال: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد العسكري حدثنا
محمد بن عثمان حدثنا إبراهيم بن محمد ابن ميمون حدثنا علي بن عابس قال: دخلت أنا وأبو
مريم على عبد الله بن عطاء (١) قال أبو مريم: حدث عليا بالحديث الذي حدثتني عن أبي جعفر قال: كنت عند أبي جعفر جالسا إذ مر عليه ابن عبد الله بن سلام قلت: جعلني الله فداك هذا ابن الذي عنده علم من الكتاب؟ قال: لا، ولكنه صاحبكم علي بن أبي طالب الذي
نزلت فيه آيات من كتاب الله عز وجل: الذي (عنده علم الكتاب) (٢) (أفمن كان على بينة من
ربه ويتلوه شاهد منه)

---

(١) قال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمته: عبد الله بن عطاء المكي: صدوق إن شاء الله. (ميزان الاعتدال ٢:
٤٦١ رقم ٤٤٥١).
(٢) في أصل الكتاب الذي عنده علم من الكتاب، ولا يصح للاتفاق على أن هذا الوصف متعلق بوزير سلمان من جهة،
وللروايات السابقة التي وردت عن عبد الله بن عطاء والتي تتحدث عن آية الرعد، وليس عن آية النمل، ولهذا صححناه، ولعله
من أخطاء النساخ..

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(إنما وليكم الله ورسوله) (١) الآية. (٢)
وقال الآلوسي: وقال محمد بن الحنفية والباقر كما في البحر: المراد (بمن) علي (كرم الله تعالى وجهه) والظاهر أن المراد بالكتاب حينئذ القرآن. (٣)
هذه جملة من مرويات أهل العامة قدمتها لا على سبيل الحصر والاستقصاء، وإنما هو قراءة لما عن لنا من مصادرهم، فعلام إذن ترك داعية الانحراف كل هذه الروايات، وتلكم التي
أوردناها عن أهل البيت عليهم السلام؟!، وتشبث بروايات لا تستقيم لها طرق القوم، فضلا عن طرق أهل البيت عليهم السلام، أهو أمية وجهل بالقرآن؟ أم إحنة تجاه علي!؟ أم ممالأة لأهل الكتاب؟! لعل هذه التساؤلات لو ربطت بما سننقله من أقوال تيار الانحراف تجاه الإمام
أمير المؤمنين وخطه، ما من شأنه أن يكشف لنا عن الأجوبة الحقيقية المؤلمة!.

---

(١) المائدة: ٥٥.
(٢) مناقب ابن المغازلي الشافعي: ٣١٣ - ٣١٤ ح ٣٥٨.
(٣) روح المعاني ١٣: ١٧٦.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ولكننا قبل أن ننتهي من هذا الفصل لا بد لنا من وقفة مختصرة تجاه بعض ما قيل في تفسير الآية بحق علي، فلقد نقل القرطبي عن القاضي أبي بكر بن العربي قوله: أما من قال إنه علي فعول على أحد وجهين: إما لأنه عنده أعلم المؤمنين وليس كذلك، بل أبو بكر وعمر وعثمان أعلم منه! ولقول النبي (ص) أنا مدينة العلم وعلي بابها وهو حديث باطل!. (١)

ولعمري لم أكن لأعلم أن طائفية البعض قد تبلغ به حد الجهل المريع! حتى اطلعت على أفكار ابن تيمية بحق الإمام وأقوال ابن العربي هذا في هذا المجال وفي قواصمه على العواصم، ولم أجد من يقول بأن منزلة علي ابن أبي طالب هذه المنزلة حتى قرأت هذه المقال، فأين الثرى من الثريا؟ وأين التراب من التبر؟ حاشا لله تلك كلمة أنت قائلها ما أنزل بها من سلطان، أو خفي على هذا الرجل أن من وصفهم بالأعلمية كانوا يرجعون إليه حتى قال قائلهم: لا أبقاني الله لمعضلة ليس فيها أبو عمر؟ وهتف هاتفهم تكرارا ومرارا: لولا علي لهلك عمر؟ فإن خفيت عليه هذه الأمور، فلعمري هو أجهل من أن يناقش، وإن لم تخف عليه فلقد عليه كتم حقا وأظهر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩: ٢٢٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

باطلا!!.
والأعجب من ذلك قوله ببطلان حديث (أنا مدينة العلم) وهو حديث متسالم عليه جدا بين أرباب الحديث، ويكفي في هذا الصدد أن أذكر أن حجة القوم أحمد بن محمد بن الصديق
الغماري الحسني قد ألف كتابا من طرقهم أسماه (فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم
علي) ذكر فيه عشرات الطرق التي أوردت الخبر وصححها (١).
وقال الآلوسي معلقا على الآية واختصاصها بعلي عليه السلام: لعمري إن عنده رضي الله تعالى عنه علم الكتاب كملا، لكن الظاهر أنه (كرم الله وجهه) غير مراد. (٢)
وقريب منه محمد حسين فضل الله الذي قال: فالرواية (٣) بحسب ظاهر السياق القرآني يراد فيها علماء

---

(١) أنظر طبعة الكتاب من قبل مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٦٩ بتحقيق أحمد محمد مرسي وذلك بمعية كتاب علي بن
أبي طالب إمام العارفين أو البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي لنفس المؤلف.
(٢) روح المعاني ١٣: ١٧٦.
(٣) والصحيح الآية، ولعله من سبق اللسان.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أهل الكتاب وهذا لا ينفي أن الإمام علي (ع) كان يعلم علم
الكتاب. (١)
والكلام هنا يتوجه إلى هؤلاء وأمثالهم، فما دمتم تقرون بأن الإمام أمير المؤمنين عليه
السلام له هذا العلم، فالذي يمنع من أن تكون الآية نازلة بحقه، خصوصا وأن الأدلة التي
ذكرتموها
بحيازة الآية عنه عليه السلام غير مكتملة على أقل التقادير، ومتعارضة بشدة مع الكثير من
أخبار نفس أهل العامة؟.
ولئن كان المتكلم مع الآلوسي يعرف حدوده لأن الرجل له شجاعة الانتماء إلى مذهبه،
وبالتالي فله أن يقول ما يحلو لمذهبه أن يقول، ولكن ما بال أمثال محمد حسين فضل الله؟
فهو في
هذه ومئات غيرها (٢) يقف مع القوم بكل ما أوتي من قوة، في حين لا يمتلك الجرأة في
البوح
بشكل رسمي ببعده عن الإمامية!.

---

(١) جريدة فكر وثقافة العدد: ٤١ ص ٤.
(٢) للتفصيل أنظر كتابنا: التحريفية الجديدة، المعالم والتداعيات، وكذا كتاب خلفيات كتاب مأساة الزهراء للعلامة السيد
جعفر مرتضى (حفظه الله).

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ج – آيات أخرى شاهدة على شاهدية أمير المؤمنين عليه السلام في روايات المعصومين

نتعرض هنا ضمن عجالة من الوقت وضيق من الحيز، إلى ما وعدنا من قبل بالحديث عن الآية القرآنية: " أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه " وكونها تمثل المصداق التفسيري لآية: " ومن عنده علم الكتاب "، وكذا الآية الكريمة: " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا " (١)، وسنقتصر في الحديث على ما ورد في الروايات الصحيحة والموثوقة لأهل البيت عليه السلام في تفسيرها والله نعم المستعان.

---

(١) البقرة: ١٤٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أ – علي الشاهد الذي يتلو من كان على بينة
تقدم الآية القرآنية الكريمة: " أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه " الدليل الدامغ على هوية شاهد آية سورة الرعد، وقد تعاضدت روايات أهل البيت عليهم السلام وكذا
روايات غيرهم، على ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعنوانه شخص هذه الآية فقد روى ثقة
الإسلام الكليني (قدس الله أنواره) موثوقة الحسين بن محمد، عن المعلى بن محمد، عن الحسن بن
علي، عن أحمد بن عمر الحلال قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عز وجل: (أفمن
كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) فقال: أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الشاهد على
رسول الله (ص), ورسول الله (ص) على بينة من ربه. (١)
وفي معتبرة محمد بن الحسين بن الحسين، عن عبد الله بن حماد، عن أبي الجارود، عن الأصبغ بن نباتة قال: قال

---

(١) الكافي: ١: ١٩٠ ب ٦٧ ح ٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أمير المؤمنين عليه السلام: لو كسرت لي وسادة فقعدت عليها لقضيت
بين أهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل الزبور بزبورهم، وأهل الفرقان بفرقانهم
بقضاء يصعد إلى الله يزهر، والله ما نزلت آية في كتاب الله في ليل أو نهار إلا وقد علمت فيمن
أنزلت، ولا ممن مر على رأسه المواسي (١) من قريش، إلا وقد نزلت فيه آية من كتاب الله تسوقه
إلى الجنة أو إلى النار، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الآية التي نزلت فيك؟ قال له: أما
سمعت الله يقول: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه)؟ قال: رسول الله على بينة من
ربه، وأنا شاهد له في وأتلوه معه. (٢)
وقد روى سليم بن قيس في كتابه عن أمير المؤمنين قوله لمن سأله عن الذي قال الله:
(ويتلوه شاهد منه) فقال: أنا (٣).
وفي معتبرة علي بن إبراهيم في تفسير آية: (وشهد

---

(١) أي بلغ الحلم.
(٢) بصائر الدرجات: ١٥٣ ح ٣ ب ٩ ح ٢. والحديث مقطع والكثير من الأسانيد التي روت أجزاءه صحيحة.
(٣) كتاب سليم بن قيس: ٦٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

شاهد من بني إسرائيل) (١) قال:
الشاهد أمير المؤمنين والدليل عليه في سورة هود (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه). (٢)
وقد ذر الشيخ الصدوق اختصاص الآية بأمير المؤمنين عليه السلام في عقائده، (٣) وفي كمال الدين وتمام النعمة. (٤)
ونقل في الاحتجاج بإسناده إلى سليم بن قيس قوله: سأل رجل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: وأنا أسمع: أخبرني بأفضل منقبة لك؟ قال: ما أنزل الله في كتابه، قال: وما أنزل الله
فيك؟ قال: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) أنا الشاهد من رسول الله عليه السلام. (٥)
وفي مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله بإسناده إلى أبي الطفيل قوله لأمير المؤمنين ضمن حديث طويل يا أمير المؤمنين قول الله عز وجل: (وإذا وقع

---

(١) الأحقاف: ١٠.
(٢) تفسير القمي ٢: ٢٧٢.
(٣) عقائد الصدوق: ٥١.
(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ١٣.
(٥) الإحتجاج: ١٥٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

القول عليهم أخرجنا لهم
دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) (١) ما الدابة؟.
قال: يا أبا الطفيل إله عن هذا؟
فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرني به جعلت فداك.
قال: هي دابة تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتنكح النساء.
فقلت: يا أمير المؤمنين من هو؟
قال: هو رب (٢) الأرض الذي تسكن الأرض به.
قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟.
قال: الذي قال الله تعالى: (ويتلوه شاهد منه) والذي (عنده علم الكتاب) والذي (والذي جاء بالصدق وصدق به) (٣) أنا. (٤)
وقد روى الإمامية وغيرهم من طرق الخاصة والعامة الكثير من الروايات التي تجمع على اختصاص

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الآية بأمير المؤمنين عليه السلام: فلقد روى الشيخ المفيد (أعلى الله مقامه) عن أبي
الحسن علي بن بلال المهلبي قال: حدثنا علي بن عبد الله بن أسد الأصفهاني قال: حدثنا
إبراهيم بن محمد الثقفي قال: حدثنا إسماعيل بن أبان قال: حدثنا الصباح بن يحيى
المزني، عن
الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله قال: قدم رجل إلى أمير المؤمنين
فقال: يا
أمير المؤمنين أخبرني عن قوله تعالى: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) قال:
قال:
رسول الله (ص) الذي كان على بينة من ربه، وأنا الشاهد له ومنه. (١)
ونقل العياشي في تفسيره عن عمار بن سويد، عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في
حديث طويل: (أفمن كان على بينة من ربه) رسول الله (ص) (ويتلوه
* (ها مش) * (١) المناقب: ٢٧٨ ح ٢٦٧.
(٢) مناقب ابن المغازلي: ٢٧٠ - ٢٧١ ح ٣١٨.
(٣) أراد بالتنزيل هنا مراده، أي أنها وقتما نزلت كانت تعطي هذا الفهم. (*) شاهد منه)
أمير المؤمنين
عليه السلام. (٢)
وروى عن بريد بن معاوية العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الذي على بينة من
ربه رسول الله (ص)، والذي تلاه من بعده الشاهد منه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أوصياؤه
واحد بعد واحد. (١)
وعن جابر، عن عبد الله بن يحيى قال: سمعت عليا عليه السلام وهو يقول: ما من
رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية أو آيتان من كتاب الله، فقال له رجل من القوم: فما نزلت
فيك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أما تقرأ الآية التي في هود: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد
منه) محمد على بينة من ربه، وأنا الشاهد. (٢)
ونقل فرات الكوفي عشر روايات على طريقته في الجمع بين رواة العامة والخاصة
وبحذف بعض الأسانيد مسندة إلى أمير المؤمنين والإمام الباقر عليهما السلام. (٣)
ونقل الحبري عن إسماعيل بن صبيح قال: حدثنا أبو الجارود، عن حبيب بن يسار،
عن زاذان قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو كسرت لي
وسادة وأجلست عليها لحكمت بين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، بقضاء يزهر
يصعد إلى الله.

---

(١) نفسه ٢: ١٥٢ ح ١٢.
(٢) تفسير العياشي ٢: ١٥٣ ح ١٣.
(٣) تفسير فرات الكوفي: ١٨٧ - ١٩١ ح ٢٣٧ - ٢٤٦.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

والله ما نزلت آية في ليل أو نهار، لا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر، إلا وقد عرفت أي ساعة نزلت وفي من نزلت. ما من قريش رجل جرت عليه المواسي إلا أنا أعرف، آية تسوقه إلى
جنة، وآية تسوقه إلى نار.
فقام رجل: ما آيتك يا أمير المؤمنين التي نزلت فيك؟ قال: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) فرسول الله (ص) على بينة من ربه، وأنا الشاهد منه أتلوه واتبعه. (١)
وقد روت العامة بطرق كثيرة مختلفة نزولها بحق أمير المؤمنين عليه السلام فلقد روى الطبري عن عبد الله بن يحيى قال: قال علي رضي الله عنه: ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل: فأنت فأي شئ نزل فيك؟ فقال علي: أما تقرأ الآية التي
نزلت في هود: (ويتلوه شاهد منه). (٢)
وقد أخرج السيوطي عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في المعرفة، وعنه عن ابن مردويه وابن عساكر، وعنه، عن ابن مردويه بسند آخر أنه علي

---

(١) تفسير الحبري: ٢٧٦ - ٢٧٩ ح ٣٦.
(٢) تفسير الطبري ١٢: ١١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عليه السلام. (١)
وروى الخازن في تفسيره عن جابر بن عبد الله عين رواية عبد الله بن يحيى المتقدمة. (٢)
وروى الجوزي في زاد المسير: أنه علي عليه السلام. (٣)
ونقل القرطبي عن ابن عباس أنه علي، وكذا روى رواية عبد الله بن يحيى المتقدمة بدون إسناد. (٤)
وقال الرازي: وثالثها: أن المراد هو علي بن أبي طالب (رض) والمعنى أنه يتلو تلك البينة وقوله: (ومنه) أي هذا الشاهد من محمد وبعض منه، والمراد منه تشريف هذا الشاهد بأنه بعض من محمد عليه السلام (٥). وتابعه النيسابوري على ذلك. (٦)
وذكر نفس هذه المعاني الآلوسي في روح المعاني

---

(١) الدر المنثور ٣: ٣٢٤.
(٢) تفسير الخازن ٢: ٣٢١.
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٤: ٧٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٩: ١٣.
(٥) تفسير الرازي ١٧: ٢٠٩.
(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٩: ١٦.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

مسندا إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه،
وكذا إلى المنهال عن عبادة بن عبد الله، وأخرج عن ابن مردويه بطريق أخر. (١)
وقال صاحب تفسير المنار: ومنها أنه علي (رض) يرويه الشيعة. (٢) وقوله: يرويه
الشيعة، قوله معتادة منه وستعلم أن أغلب ما رواه رواة أهل البيت عليهم السلام إنما كان
عن
طرق العامة.
أما ما روته كتب حديث العامة المختصة فلقد روى الحموييني في فرائد السمطين (٣)
ونقلها
عنه القندوزي الحنفي حيث أخرج بسنده عن ابن عباس وبسنده عن زادان، عن علي (كرم
الله
وجهه) قال: إن رسول الله (ص) كان على بينة من ربه، وأنا التالي الشاهد منه، وكذا
أخرجه
بسنده عن جابر بن عبد الله، عن علي، وبسنده عن البحتري، عن علي بلفظه، وأخرجه
موفق
بن أحمد بسنده عن ابن عباس وأيضا أو نعيم والثعلبي والواقدي بأسانيدهم عن ابن عباس
وزاذان وجابر كلهم عن

---

(١) روح المعاني ١٢: ٢٧ - ٢٨.
(٢) تفسير المنار ١٢: ٥٣.
(٣) فرائد السمطين ١: ٣٣٨ - ٣٤٠ ح ٢٦٠ - ٢٦٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

علي. (١)
ثم روى عن عباد بن عبد الله رواية مقاربة لرواية عبد الله بن يحيى المتقدمة. (٢)
وذكر سبط ابن الجوزي عن الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس: أنه علي (ع) ومعنى يتلوه شاهد منه أنه أقرب الناس إلى رسول الله (ص). ثم نقل عن الثعلبي رواية زاذان المتقدمة. (٣)
ونقل المتقي الهندي في كنز العمال ما يقرب من روايتي زاذان وعبد الله بن يحيى (٤)
وقريب منه ابن عساكر في تأريخ دمشق (٥) ونقل الحسكاني في شواهد التنزيل العديد من الروايات
المقاربة لفظا ومعنى. (٦)
ونقل الموفق بن أحمد الخوارزمي في مناقبه عن ابن عباس قوله: هو علي عليه السلام شهد للنبي (ص) وهو

---

(١) ينابيع المودة ١: ٢٩٤ ب ٢٦ ح ٣.
(٢) ينابيع المودة ١: ٢٩٥ ب ٢٦ ح ٤.
(٣) تذكرة الخواص: ٢٥ - ٢٦.
(٤) كنز العمال ٢: ٤٣٩ ح ٤٤٤٠ - ٤٤٤١.
(٥) ترجمة الإمام علي (ع) من تأريخ دمشق ٢: ٤٢١.
(٦) شواهد التنزيل ١: ٢٧٥ - ٢٨٢.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

منه. (١)
ونقل ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله قال:
سمعت عليا وساق الحديث كما ذكره زاذان في الرواية المتقدمة. (٢)
على أننا نلمس من مفاد روايات أخرى - وكما هو واقع الحال - تعميم فكرة الشهادة لكل
أئمة أهل البيت عليهم السلام، ففي معتبرة علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن يحيى بن أبي عمران،
عن يونس، عن أبي بصير، والفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما نزلت (٤) (أفمن كان
على بينة من ربه) يعني رسول الله (ص)

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(ويتلوه شاهد منه) إماما ورحمة. (١)
وروى الطبرسي بإسناده إلى أمير المؤمنين قوله: وأما قوله: (ويتلوه شاهد منه) فذلك حجة الله أقامها على خلقه، وعرفهم أنه لا يستحق مجلس النبي إلا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلا
من يكون في الطهارة مثله، لئلا يتسع لمن ماسه حس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق بمقام رسول الله (ص) وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه، إذ كان الله قد
حظر على من ماسه الكفر تقلد ما فوضه إلى أنبيائه وأوليائه، بقوله لإبراهيم: (لا ينال عهدي الظالمين) (٢) أي المشركين، لأنه سمى الظلم شركا بقوله: (إن الشرك لظلم عظيم) (٣) فلما علم
إبراهيم عليه السلام أن عهد الله تبارك وتعالى اسمه بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام، قال: (وأجنبني وبني أن نعبد الأصنام) (٤).
واعلم أن من آثر المنافقين على الصادقين، والكفار على الأبرار، فقد افترى إثما عظيما، إذا كان قد بين في

---

(١) تفسير القمي ١: ٣٢٥ - ٣٢٦.
(٢) البقرة: ١٢٤.
(٣) لقمان: ١٣.
(٤) إبراهيم: ٣٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

كتابه الفرق بين المحق والمبطل، والطاهر والنجس، والمؤمن والكافر، وأنه لا يتلو النبي عند فقده إلا من حل محله صدقا وعدلا وطهارة وفضلا. (١)
هذا وقد تقدمت معنا رواية العياشي عن بريد بن معاوية العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الذي على بينة من ربه رسول الله (ص)، والذي تلاه من بعده الشاهد منه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم * أوصياؤه واحد بعد واحد. (٢)
نكتفي بهذا المقدار من الروايات سردناها على عجل دونما استقصاء وحصر، وهي تؤكد بمجموعها عامها وخاصها على اختصاص الآية الكريمة بأمير المؤمنين عليه السلام، وتعدد
طرقها وكثرتها يجبر ضعف (٣)

---

(١) أمالي المفيد: ١٤٥ م ١٨ ح ٥. الحديث طويل أخذنا موضع الحاجة منه.
(٢) تفسير العياشي ٢: ١٥٢ ح ١١.
(١) الإحتجاج: ٢٥١.
(٢) تفسير العياشي ٢: ١٥٢ ح ١٢.
* ينبغي أن ننبه إلى حقيقة أن كون الحديث ضعيفا، لا يعني إسقاطه بالمطلق، وإنما لا يحتج به في مقام الفتوى، أما في
المسائل العقائدية وأمثالها، فمن الواجب الاعتناء به، خصوصا إذا كانت الفكرة العامة لها مؤيدة بالقرآن وصحيح الحديث، وعلى
أقل التقادير لا ينبغي إسقاطها وتكذيبها، لأن كون الخبر ضعيفا لا يعني أن احتمال الصدق لا وجود له فيه، ففي بعض الضعاف
يكون الاحتمال كبيرا بحيث أنه لا مجال لترجيح الكذب على الصدق فيه كما في المرسلات أو في الرجال المهملين والمجهولين.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بعض هذه الطرق.
ومثلما وجدنا في الآية السابقة فإن حظ تيار الانحراف يتنكب هذه المرة أيضا فلقد قال داعية الانحراف في معرض تفسيره لهذه الآية: وقد اختلف المفسرون في شخصية هذا الذي كان
على بينة من ربه، هل هو رسول الله (ص)، أو المؤمنون الذين كانوا معه، أو جميع المؤمنين، وعن
طبيعة هذه البينة، هل هي القرآن أو العقل والوجدان، أو شئ أخر غير ذلك، وفي شخصية الشاهد هل هو القرآن، أو جبرائيل أو الإمام علي أو غير ذلك من الاحتمالات كما تعددت الروايات فيه مما لا يمكن الركون إليها لخلل في سند بعضها، وارتباك في مضمون البعض الآخر، ولا
نجد في هذا المجال أوثق من عدم الخوض في ذلك. (١)

---

(١) من وحي القرآن، محمد حسين فضل الله ١٢: ٤٥ - ٤٦ دار الزهراء، الطبعة الأولى ١٩٨٥ بيروت.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وفي قوله هذا محطات ينبغي أن تستوقفنا، ومن جملتها:
أ – إن الاضطراب الذي تعرض لذكره لا يعني رواية أهل البيت عليهم السلام فهي متفقة شكلا ومضمونا كما رأيناه، وإنما هذا الأمر يتعلق برواية العامة، وهي ليست حجة في نفسها،
فكيف يمكن أن تكون حجة في ترك رواية أهل البيت عليهم السلام؟.
ب – إن الروايات العامية التي تعرضت للإمام علي عليه السلام في هذا المجال لا تعاني مما
أسماه بالخلل والارتباك، واختلاف جملها وتعدد مصادرها، إنما يشير إلى الاستفاضة في رواية
الخبر من جهة، وتعدد المواضع التي قيلت فيه.
ج – إن الاضطراب الذي اشتملت عليه روايات العامة كان في محاولة ذود تفسير الآية بعيدا عن الإمام علي عليه السلام، وهو أمر اعتدنا عليه مع كل الآيات التي نزلت بحق أمير المؤمنين عليه السلام، ولو سرنا مع هذه الروايات وجعلناها في نفس مرتبة روايات أهل البيت
عليهم السلام، فمما لا شك فيه أننا سوف نسقط كل رواية لأهل البيت عليهم السلام بحجة
وجود معارض لها.
د – إننا هنا نلمس وللمرة الثانية في هذا البحث

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

جفاء تيار الانحراف لرواية أهل البيت
عليهم السلام وبعده عنها، وهذا ما يدفعنا للتساؤل من جديد عن طبيعة إيمان هؤلاء بخط أهل
البيت عليهم السلام، فلو كانوا مؤمنين حقا بهم، فلم إعمال نفس حجج مخالفيهم على رواياتهم،
وهذه الحجج ليست في مصاف الحجج الموضوعية القابلة للتحاجج، وإنما في معظمها الأغلب من
بنات أكاذيب السياسة والطائفية، ولا تخفى على ذي لب، وكان بإمكانهم ترك الحديث – على
الأقل – عن البعد الروائي في الآية، أما ترك رواية أهل البيت عليهم السلام، والتحاجج بما لدى
أهل العامة من أخبار متعارضة، فعلى أي مستوى يمثل إيمانا بمدرسة أهل البيت عليه
السلام!!. وهل سيكون ادعاء البعض بإيمانهم بهذا الخط، بل وبزعامة هذا الخط، إلا أكذوبة
من أكاذيب أم عمرو؟!.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ب – الأمة الوسط.. إخفاق أخر لخط الانحراف
تقدم الآية الكريمة: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١) شاهدا آخرا على أن دور الشهادة دور رباني خصه لأهل بيت النبوة عليهم السلام دون غيرهم من الناس، ومع هذه الآية نجد وللمرة الثالثة تعاضد خط الانحراف على السير بعيدا عن هدى أهل البيت عليهم السلام، وعمله بمعتقدات أهل العامة،
فعلى الرغم من كثرة الأحاديث الصحيحة والموثوقة الواردة عنهم (صلوات الله عليهم) وتأكيدهم
على اختصاص الوسطية والشهادة لهم دون غيرهم، عملا بالوصية المعروفة أيام السقيفة: (وسعوها تتسع) فأخرجها من إطار أهل البيت عليهم السلام، وأحالها على عناوين لا تصلح للشهادة على نفسها فضلا عن غيرها، وفي بحثنا

---

(١) البقرة: ١٤٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الروائي المقتضب هنا عمق التناقض الذي
اختطه داعية الانحراف لتيار الانحراف مع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في إطلاق مفهوم
الشاهدية بعيدا كل البعد عن كل التأكيدات الإمامية بتخصيص الوسطية والشاهدية بأهل البيت
عليهم السلام، فمن جملة روايات أهل البيت عليهم السلام في هذا المجال صحية الحسين بن
محمد، عن المعلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن عمر بن أذينة،
عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل (وكذلك جعلناكم
أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) قال: نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله على خلقه
وحججه في أرضه، قلت: قول الله عز وجل (ملة أبيكم إبراهيم) قال: إيانا عنى خاصة (هو
سماكم المسلمين من قبل) في الكتب التي مضت (وفي هذا) القرآن (ليكون الرسول) عليكم
شهيدا، فرسول الله (ص) الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عز وجل ونحن الشهداء على الناس،
فمن صدق صدقناه يوم القيامة، ومن كذب كذبناه يوم القيامة. (١)
وفي صحيحة علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد العجلي

---

(١) الكافي: ١: ١٩٠ ب ٦٧ ح ٢. والآية في الحج: ٧٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله تبارك وتعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قال: نحن الأمة الوسطى، ونحن شهداء الله
تبارك وتعالى على خلقه، وحججه في أرضه، قلت: قوله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون * وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم) قال: إيانا عنى، ونحن المجتبون، ولم يجعل الله تبارك وتعالى (في الدين من حرج) الحرج
أشد من الضيق (ملة أبيكم إبراهيم) قال: إيانا عنى خاصة و (سماكم المسلمين) الله سمانا المسلمين (من قبل) في الكتب التي مضت (وفي هذا) القرآن (ليكون الرسول) عليكم شهيدا
تكونوا شهداء على الناس، فرسول الله (ص) الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالى، ونحن
الشهداء على الناس، فمن صدق صدقناه يوم القيامة، ومن كذب كذبناه. (١)
وفي صحيحة علي بن إبراهيم، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قال: إن

---

(١) الكافي ١: ١٩١ ب ٦٧ ح ٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الله تبارك وتعالى طهرنا
وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا
نفارقه ولا يفارقنا. (١)
وفي صحيحة أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمرو اليماني مثله. (٢)
وفي صحيحة أحمد بن محمد، عن أبيه، عن محمد، (٣) عن ابن أذينة، عن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قال: نحن أمة الوسط، ونحن شهداء
الله على خلقه، وحجته في أرضه. (٤)
وفي صحيحة يعقوب بن يزيد، ومحمد بن الحسين، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن بريد بن معاوية قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله

---

(١) الكافي ١: ١٩١ ب ٦٧ ح ٥.
(٢) بصائر الدرجات: ١٠٣ ح ٢ ب ١٣ ح ٦.
(٣) محمد هذا هو ابن أبي عمير، وأحمد بن محمد هو ابن محمد بن عيسى وكلهم من كبار الثقاة.
(٤) بصائر الدرجات: ٨٣ ج ٢ ب ٣ ح ١١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس) قال: نحن الأئمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته في أرضه. (١)
وفي صحيحة عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن جعفر ابن بشير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قال: نحن الأمة الوسط، ونحن شهداؤه على
خلقه، وحجته في أرضه. (٢)
وفي صحيحة محمد بن عبد الجبار عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن النعمان، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: (وكذلك
جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) بما عندهم من الحلال والحرام وبما ضيعوا منه. (٣)
وفي صحيحة سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، ومحمد بن عبد الجبار، عن محمد بن

---

(١) بصائر الدرجات: ١٠٢ ج ٢ ب ١٣ ح ٣.
(٢) المصدر ١٠٣ ج ٢ ب ١٣ ح ٥.
(٣) نفسه: ٥٣٦ - ٥٣٩ ج ١٠ ب ١٨ ح ٤٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إسماعيل بن بزيع، عن علي بن النعمان، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير،
عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) قال: نحن الشهداء على الناس بما عندنا من الحلال
والحرام، وبما ضيعوا. (١)
وبهذا العدد الكبير من صحاح الروايات، يمكن جبر الكثير من الأخبار التي توصف
بالضعف، خصوصا إذا ما كان المتن يتفق مع متون الصحاح بالضعف، خصوصا إذا كان المتن
يتفق مع متون الصحاح في اللفظ أو في المعنى، إما لإرسال (٢) كما في روايات تفسير العياشي
حيث روى عن أبي بصير قوله: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: نحن نمط الحجاز، فقلت:
وما نمط الحجاز؟ قال: أوسط الأنماط إن الله يقول: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) قال: ثم قال:
إلينا يرجع الغالي وبنا يلحق المقصر. (٣)

---

(١) مختصر بصائر الدرجات لسعد بن عبد الله: ٦٥.
(٢) ضعاف المراسيل ضعفت بسبب غياب بقية السند، وهي لهذا لا يمكن أن تكذب أو ترد، لوجود احتمال كبير في أن
يكون ما فقد من السند صحيحا.
(٣) تفسير العياشي ١: ٨١ - ٨٢ ح ١١١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وروى عن عمر بن حنظلة، عن أبي عبد الله (ع) قال: هم الأئمة. (١)
وعن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله (ع) قال: قال الله:} وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا {فإن ظننت أن الله عنى بهذه الآية جميع أهل القبلة من الموحدين أفترى أن من لا يجوز شهادته في الدنيا على صاع من تمر يطلب الله
شهادته يوم القيامة ويقبلها منه بحضرة جميع الأمم الماضية؟ كلا لم يعن الله مثل هذا من خلقه،
يعني الأمة التي وجبت لها دعوة إبراهيم كنتم خير أمة أخرجت للناس، وهم الأمة الوسطى، وهم
خير أمة أخرجت للناس. (٢)
وإما لمجهولية حال أحد الرواة (٣) كما في روايتي بصائر الدرجات عن كتاب بندار بن عاصم حيث حدث

---

(١) تفسير العياشي ١: ٨٢ ح ١١٢.
(٢) نفسه ١: ٨٢ ح ١١٢.
(٣) وهذه وإن عدت من الضعاف إلا أنها من الصنف الذي لا يرجح الضعف على القوة فيها، فقد يكون الضعيف قويا ولهذا
فهي لا ترد ولا تكذب.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عبد الله بن محمد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، (١) قال: في كتاب بندار
بن عاصم، عن الحلبي، عن هارون ابن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (ع) في
قول الله
تبارك وتعالى:} وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس {قال نحن الشهداء
على
أناس بما عندهم من الحلال والحرام وما ضيعوا منه. (٢) والخبر يصح لوروده بسند
صحيح آخر
كما مر.
وكذا حديث عبد الله بن محمد، عن إبراهيم بن محمد، في كتاب بندار بن عاصم، عن
عمر بن حنظلة وأقل: قلت لأبي عبد الله (ع)} وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء
على
الناس {قال: هم الأئمة. (٣)
وكذا حدي عبد الله بن جعفر، عن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن جعفر
بن بشير، عن عمرو بن أبي المقدام (٤)، عن ميون البان، (٥) عن أبي جعفر (ع) في قوله
تبارك
وتعالى:} وكذلك جعلناكم أمة

---

(١) ممدوح.
(٢) بصائر الدرجات: ١٠٢ ج ٢ ب ١٣ ح ١.
(٣) نفسه: ١٠٢ ج ٢ ب ١٣ ح ٢.
(٤) ممدوح.
(٥) مجهول وبقية رجال السند من أعلام الثقات.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وسطا لتكونوا شهداء على الناس {قال: عدلا ليكونوا شهداء
على الناس قال: الأئمة ويكون الرسول شهيدا عليكم أقل: على الأئمة.
(١) وكما في رواية بشارة المصطفى عن أبي أحمد يحيى بن يحيى المقري الفتى الظريف أقل:
وجدت في كتاب عمي الفضل فيما كتبه عن أبي منصور أحمد بن العباس، عن أبيه، عن الفضل
بن يحيى قال: سئل أبو جعفر محمد بن علي [الجواد] في حديث طويل إلى أن يقول: قلت:
فقوله:} وكذلك جعلناكم أمة وسطا لكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا {
قال: نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته على أرضه.. إلى أن يقول:
قلت فقوله:} يا أيها الذي أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون،
وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم
هو سماكم المسلمين {قال: إيانا عنى، نحن المجتبون، ولم يجعل علينا في الدين من ضيق، والحرد
أشد من الضيق،} ملة أبيكم إبراهيم {قال: إيانا عنى خاصة} هو سماكم المسلمين من قبل {في
الكتب التي مضت} وفي هذا

---

(١) بصائر الدرجات: ١٠٢ ج ٢ ١٣ ح ٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ليكون الرسول شهيدا عليكم {فرسول الله (ص) شهيد علينا فيما
بلغنا عن الله عز وجل، ونحن الشهداء على الناس، فمن صدقنا يوم القيامة صدقناه، ومن كذبنا
يوم القيامة كذبناه. قال: فقوله:} قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب {
قال: إيانا عنى، وعلي أقضانا وأولنا وخيرنا بعد النبي (ص). (١) والخبر كما ترى مؤيد لورود متنه
بنصوص متقاربة جدا مع الصحاح التي ذكرناها.
ولكن رغم كل هذه التأكيدات يأتي الرجل ليؤكد أنه يخالف ما ذهبت إليه الأئمة (ع) من خلال طرحه لمفهوم هو أبعد ما يكون عن الحقيقة، وذلك ترددا لمعتقدات المدارس الأخرى،
فحيث أقل أئمة أهل البيت (ع) بأنهم هم أئمة الوسط أقل هو مناقضا لذلك في تفسير الوسطية في
هذه الآية: إن الوسط من كل شئ أعدله وأفضله فكن هذه الكلمة استعيرت للأمة المسلمة من
أجل تأكيد الثقة في نفوسهم على أساس ما حباهم الله من هداية إلى سبيله لئلا ينهاروا أمام تضليل المضللين وتشكيك المشككين. (٢)

---

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ١٩٤.
(٢) الوسط والشهودية، مشروعان لإنقاذ الحضارة (مصدر سابق): ١٦٥، ويلاحظ أيضا تفسيره من وحي القرآن، الجزء
الرابع، من الطبعة الجديدة ٤: ١٥٣.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وحيث ما قال أهل البيت (ع) بأن الشهادة شأن خاص بهم، فإن قام أولا بذكر إتجاهات التفسير لدى أهل العامة فقط، (١) معرضا عما اختصه أهل البيت (ع) لأنفسهم، ومن ثم ليثبت
أبعد المفاهيم عما ذهب إليه أئمة أهل البيت (ع) فقال: وعلى هذا، فإن كون الأمة شاهدا يتحرك في نطاق وجود العناصر الكثيرة في داخلها ممن يصلحون لمثل هذا الموقع الكبير وهم الطليعة
الواعية المؤمنة التقية المنضبطة التي تفهم الإسلام حق الفهم وتعيه حق الوعي وتمارسه حق الممارسة وتحمله بروح رسولية رائدة أنها النخبة الواعية الموجودة في كل زمان ومكان التي يقف
الأئمة الطاهرون والعلماء الواعون والأولياء الطيبون والمجاهدون العاملون. (٢)

---

(١) نفس المصدر: ١٦٦.
(٢) نفس المصدر: ١٦٨.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

ج – على من تنزل الملائكة والروح؟
تطرح سورة القدر مسألة نزول الملائكة والروح في كل ليلة قدر من كل سنة كواحدة من الحقائق القرآنية والكونية الثابتة، ولكنها في هذا الطرح تثير مسألة غاية في الأهمية بالنسبة لبحثنا
هذا طالما تغافل أو أغفلها الكثير من المفسرين من العامة، وأعني بذلك طبيعة المهام المعلقة بليلة
القدر، فلقد تحدث القرآن الكريم عن هذه المهام لمرتين واحدة في سورة الدخان: (إنا أنزلناه في
ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم) (١) وأخرى في سورة القدر حينما قال
جل من قائل: (وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح
فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر) (٢) حيث أن الملاحظ في آيات سورة
الدخان، وكما هو شأن الروايات الموثوقة أشارت إلى أن هذه الليلة تقضى فيها أقدار كل شئ،
مع التأكيد على أن هذا الأمر يحصل كل

---

(١) الدخان: ٣ – ٤.
(٢) القدر: ٢ – ٥.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عام بدليل وجود فعل المضارعة (يفرق)، ولكنها في
الثانية تطرح قضية أخرى، وهو (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر)، وهذا التنزل
السنوي للملائكة مع الروح من الواجب أن يثير فينا التساؤل عن الجهة التي تتنزل عليها الملائكة
والروح (١)، ولا تصلح أي عقيدة بخلاف عقيدة أهل البيت عليهم السلام في تقديم تصور منطقي
على من تتنزل عليه الملائكة، فالتنزل هنا ليس تنزلا رمزيا من أجل القول بأن الليلة مباركة من
قبل الله لمحض المباركة كما قد يحاول قول ذلك تيار التحريف، (٢) وهذا التنزل حينما يكون لازم
التحقق بموجب هذا الحديث القرآني، فيستلزم وجود الجهة التي لديها المؤهلات الكفيلة بحيث أنها
تكون موئلا لنزول الملائكة ومن ثم عرض أمر كل شئ عليها، وعندئذ فمن الحق أن نتساءل عن
الجهة التي تصلح لأن تكون مهبط الملائكة والروح

---

(١) في تعبير الروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام أن الروح خلق أكبر وأعظم من الملائكة، ولهذا خالف محمد
حسين فضل الله هذه الروايات حينما طرح تفسير أهل العامة بكون جبرئيل عليه السلام هو المعني بذلك كأحد احتمالين، مع
تقديم هذا الاحتمال تراتبيا على ما فسرته روايات أهل البيت عليهم السلام. (أنظر من وحي القرآن ٢٤: ٤٠٨).
(٢) أنظر من وحي القرآن ٢٤: ٤٠٥ فما بعد.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إليها، وهذه الجهة كما يدل مضمون الآيات لها
مواصفات متعلقة بالرسالة وشؤونها، كما يشير إلى ذلك ما روي عن الإمام الجواد، عن الإمام
الصادق، عن الإمام الباقر عليهم السلام حيث يقول في حديث طويل لمحدث له بالكعبة المشرفة:
فإن قالوا لك: فقل: (حم * والكتاب المبين * إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها إلى
قوله: إنا كنا مرسلين) فإن قالوا لك: لا يرسل الله عز وجل إلا إلى نبي فقل: هذا الأمر الحكيم
الذي يفرق فيه هو من الملائكة والروح التي تنزل من سماء إلى سماء أو من سماء إلى الأرض؟ فإن
قالوا: من سماء إلى سماء، فليس في السماء أحد يرجع من طاعة إلى معصية، فإن قالوا: من سماء إلى أرض - وأهل الأرض أحوج الخلق إلى ذلك - فقل: فهل لهم بد من سيد يتحاكمون إليه؟
فإن قالوا: فإن الخليفة هو حكمهم فقل: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور إلى
قوله: خالدون) (١) لعمري ما في الأرض ولا في السماء ولي لله عز ذكره إلا وهو مخذول، ومن
خذل لم يصب، كما أن الأمر لا بد من تنزيله من السماء يحكم به أهل الأرض، كذلك لا بد من
وال، فإن قالوا: لا نعرف هذا

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٧

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فقل لهم: قولوا ما أحببتم، أبى الله عز وجل بعد محمد (ص) أن
يترك العباد ولا حجة عليهم.
ثم قال محدث الإمام الباقر عليه السلام: ها هنا يا ابن رسول الله باب غامض، أرأيت إن
قالوا: حجة الله القرآن؟ قال: إذن أقول لهم: إن القرآن ليس بناطق يأمر وينهي، ولكن
للقرآن أهل
وينهون، وأقول: قد عرضت لبعض أهل الأرض مصيبة (١) ما هي في السنة والحكم الذي
ليس
فيه اختلاف، وليست في القرآن، أبى الله لعلمه بتلك الفتنة أن تظهر في الأرض، وليس في
حكمه
راد لها أو مفرج عن أهلها. (٢)
ولو بحثنا لما وجدنا هناك غير جهة اعتنى القرآن الكريم في تقديمها كجهة وحيدة تصلح
لمثل هذا الحديث عن التنزل الرسالي عليها من قبل الملائكة والروح، وهي جهة أئمة أهل
البيت
عليهم السلام بعد الرسول (ص) وهذا التفسير ينسجم مع كل ما قدمناه بشأن الإمامة
الشاهدة
على كل شئ في الوجود، وثانيا تؤكده العديد من الروايات الواردة في تفسير السورة. (٣)
كما في
رواية علي بن

---

(١) بمعنى المعضلة والمشكلة.
(٢) الكافي ١: ٢٤٥ - ٢٤٦ ح ١.
(٣) أنظر الكافي ١: ٢٤٥ فما بعده، وتفسير نور الثقلين ٥:
٦١٩ فما بعدها، وتفسير كنز الدقائق ١١: ٤٤٠
فما بعد، وموضع السورة في تفاسير العياشي والبرهان وتأويل الآيات الظاهرة في مناقب العترة الطاهرة.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

إبراهيم في تفسيره حيث يقول: ومعنى ليلة القدر إن الله يقدر فيها الآجال والأرزاق، وكل أمر يحدث من موت أو حياة أو خصب أو جدب أو خير أو شر كما قال الله:
(فيها يفرق كل أمر حكيم) إلى سنة. قوله: (تنزل الملائكة والروح فيها) قال: تنزل الملائكة وروح
القدس على إمام الزمان ويدفعون إليه ما قد كتبوه من هذه الأمور. (١)
ولهذا نعتقد أن التنزل السنوي للملائكة بالأقدار إنما يكون على إمام الزمان وما هذا إلا بسبب اضطلاعه (صلوات الله عليه) بدور الإمامة الشاهدة التي طرحتها آية شهادة من عنده علم الكتاب.

---

(١) تفسير القمي ٢: ٤٣٢.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

عودة للبداية!!
وعودا على بدء نتساءل عن الأسباب التي تجعل هذا التيار يعارض أقوال أئمة أهل البيت عليهم
السلام فيما صح صدورها عنهم، ويأتي بمناقض لها من تفسيرات المخالفين لهم، ولا يمكن تصور
ذلك إلا من خلال القول بأن هذا الرجل إما أنه لا يقبل رواية أهل البيت عليهم السلام بسبب
مشاكل السند والدلالة وما إلى ذلك، وهو أمر لن ينقذه، لأنك قد عرفت توافق الدلالة مع هذا
الفهم الذي تسوقه روايات سليمة وصحيحة الصدور، على أنه لو كانت مشاكل السند صحيحة
فما باله أخذ بروايات لا يمكن أن تضاهي في سندها أسانيد الروايات التي ذكرناها؟.
وإما أنه لا يقبل بعصمة أهل البيت عليهم السلام وخصوصية علومهم، بحيث أنه يخرجهم
من دائرة العصمة ليحولهم إلى رواة ومفسرين يقبل منهم ما يشاء ويذر منهم ما يشاء، وهذا الأمر
لعله هو الأقرب إلى

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

فهمه، فالرجل بعد أن لاحظ أن أصول الدين وفروعه لدى العامة هي الحقائق
الإسلامية البديهية الثابتة التي لا تقبل المناقشة، وفي نفس الوقت اعتبر أن أصول الدين وفروعه
الإمامية كلها من الصنف غير الثابت القابلة للمناقشة نفيا, إثباتا وفق مقالة: (الأصالة
والتجديد) (١) ذكر في كتابه حوارات ما يلي: إن كل ما جاءنا من تراث فقهي وكلامي وفلسفي
هو نتاج المجتهدين والفقهاء والفلاسفة والمفكرين من خلال معطياتهم الفكرية ولا يمثل الحقيقة إلا
بمقدار ما نقتنع به من تجسيده للحقيقة، على أساس ما نملكه من مقاييس الحقيقة، وبهذا فإننا
نعتبر أن كل الفكر الإسلامي – ما عدا الحقائق الإسلامية البديهية – هو فكر بشري، وليس فكرا
إلهيا، قد يخطئ فيه البشر فيما يفهمونه من كلام الله وكلام رسول الله (ص) وقد يصيبون. (٢)
هذا هو الأمر الوحيد الذي من شأنه أن يبرر ترك هذا التيار لحديث أهل البيت (ع)،
ومن يلحظ بقية كلماته ومواقفه من أئمة أهل البيت (ع) لا سيما من

---

(١) الأصالة والتجديد (مصدر سابق): ٦٢.
(٢) حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع (مصدر سابق): ٤٨٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قضايا أمير المؤمنين (ع) يجد
صحة ما نرمي إليه، فاعتبار الإمامة والعصمة وعلم الإمام وولايته وغيرها من المتحولات، وتشكيكه بسند الغدير، واعتباره بيعة الغدير بمثابة التجربة التي أراد الرسول لها أن تتحرك على
المستوى التجريبي لا الإلزامي، وتصويره أمير المؤمنين (ع) بالصورة التي لم يتجرأ حتى أقبح
النواصب على وضعه فيها حيث قال عنه: وفي مطلق الأحوال إن عليا (عليه السلام) يشرع في
هذا المقطع من دعائه في تبيان ما من أجله كان يتوسل مقسما بأسماء الله تعالى وصفاته، وهو
يبدأ بسؤال المغفرة للذنوب التي من شأنها أن تمس كيانه وشخصيته، فتحيلها إلى شخصية متهالكة
ضعيفة لا حول لها ولا قوة، فاقدة لأي اعتبار أو موقع، أو دور فاعل وإيماني في الحياة.

---

(١) في رحاب دعاء كميل: ٧٢، الطبعة الأولى، وقد حاول في الطبعة ا لثانية أن يعتذر عن ذلك بالقول بأنه أراد أن يكون:
سؤاله قدة لغيره لمن هو دونه في الكمال المعنوي والإيماني، بحيث إذا ما أراد الوقوف بين يدي الله تعالى، فإن عليه أن يتذكر ذنوبه
.. (المصدر، الطبعة الثانية: ٧٢), وبعمله هذا قام بتصحيح عبارتين فقط ولكن العبارات التي حوت أشد أنماط الإساءة
أبقاها على ما هي عليه.
ولعمري كان العذر أقبح من الذنب، حيث كان بالإمكان أن
تصاغ العبارة هذه ويغرها من العبارات التي سنذكرها، بألفاظ أكثر
تهذيبا مع شخصية الإمام (ع) والكتاب يقرأ من قبل العاقل وغايره، والشيعي وغيره، والمثقف وغيره، والعالم والجاهل، ولو كان
الأمر كما يريد أن يقول فما بال هذا الإصرار على إبقاء الضمائر المرجعة: إلى شخصية الإمام (ع) عاملة وبفعالية فاقعة، ولو
تلافينا كل ذلك وتم الإغضاء عن هذه العبارة، فما بال العبارات الأخرى لم تتغير في الطبعة الثانية من الكتاب، خصوصا بعد أن
لاحظ الكاتب أنه في الطبعة الثانية حاول كما يقول قطع: الطريق على المصطادين بالمياه العكرة. فمع احتمال أن تساء فهم
شخصية الإمام (ع) أما كان بالإمكان تلافي العبارات جميعا، ولم كل هذه العناية على الاستبسال وقد يصل إلى حد الاقتتال على
أن يحتفظ الكاتب بكل أصناف التبجيل والتقديس فيما بيات وليد السماء وقديس الأرض يقذع بهذه الأوصاف التي إن عبرت
عن شئ فلا أقل من أنها عبرت عن سوء أدب بساحة الإمام المقدسة.
ولقد كان من السهولة بمكان أن يقتدي بمن سبقه من العلماء ممن تكتب في مثل هذه الأمور فلم تند منه حتى ما يشبه التقصير،
فكيف بك وأنت ترى تصوير مولى المتقين بالصورة التي لم يتجرأ على وصفها حتى أشد المناصبين لؤما.
على أن منت حقنا أن نتساءل على الدواعي التي تجعل هذه الرجل نراه يغص حتى بالهواء! كل ما وصل الأمر إلى مكرمات أمير
المؤمنين (ع) ومناقبياته وظلامات أهل بيته (ع) وفقههم، في الوقت الذي تراه هش بش مع فكر أعداء على وأهل

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بيته (عليهم السلام)،
فالذين اعتدوا على بيت فاطمة (صلوات الله عليها) لم يعتدوا،, إنما كانت لهم معها علاقة طبيعية، وهو لهذا لا يتفاعل مع
الأحاديث القائلة بأن القوم قد هجموا على الدار، وأضرموا النار فيه،, لأنها كانت لها موقعة متميزة في نفوس هؤلاء وأن قلوب
المعتدين كانت ممتلئة بحب الزهراء (ع)، وأن هؤلاء لم يحدثوا أية سلبية حيال النبي في كل واقع الإسلام، وفيما لا يجد في الشهادة
الثالثة في الأذان أي مصلحة شرعية ويراها تؤدي لمفاسد كثيرة. (المسائل الفقهية ٢: ١٢٣ ط ١ - ١٩٩٧)، تجده يرى
مثل هذه المصلحة الشرعية في إضافة قول آمين إلى سورة الفاتحة، فهو مبطل للصلاة في نظره، ولكن لصحة لديه وجه لا سيما إذا
قصد بها لادعاء. (المسائل الفقهية ١: ٩٢ ط ١ - ١٩٩٥ م)، ونفس الأمر يسري مع التكتف أثناء الصلاة خصوصا إذا
قصد به الخضوع والخشوع لله. (المسائل الفقهية ١: ٩١ - ٩٢). ومثل ذلك كثير!! فتأمل.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

وقال في موضع آخر (ولاحظ معي الضمائر المرجعة إلى شخصية الإمام (ع)): ماذا نشعر ونحن نرى عليا يسأل المغفرة تلو المغفرة، ثم لا يكتفي بذلك، بل يتجاوزه إلى سؤال شفاعة الله
سبحانه وتعالى له. ألا تشعر أن عليا لا يزال خائفا، ولا سيما أن الذنوب والخطايا

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

التي طلب من
الله سبحانه وتعالى أن يغفرها له هي من الذنوب الكبيرة التي يكفي ذنب واحد لينقصهم الظهر
منها. (١)
وأقل في موضع آخر: ويتابع الإمام ببيان حاله قائلا: (ولا تفضحني بخفي ما اطلعت
عليه من سري) يا رب هنالك الكثير من الأشياء التي أقوم بها من دون أن يراني أحد، أو أتكلم
بشئ ولا يسمعني أحد، وأنت الساتر الرحيم فيا رب لا تفضحني في الدنيا وفي آخرة، وأعدك
بأني سأتراجع عن خطئي وإساءتي ومعصيتي. (٢)
وقال في موضع آخر: ولذا فالإمام يقول يا رب لقد خلقن لي هذه الغرائز، ومن تحولي
أجواء تثير هذه الغرائز، (٣) تستيقظ غرائزي عندما تحف بها الروائح والأجواء الطيبة التي تثيرها
أعطيتني عقلا، ولكن غرائزي في بعض الحالات تغلب عقلي فأقع في المعصية. (٤)
وقال في مكان آخر وبلهجته العامية هو يتحدث عن أمير المؤمنين (ع): كان إذا سمع أحدا
يمدحه شو

---

(١) في رحاب دعاء كميل: ٩٤.
(٢) نفسه: ١٥٩.
(٣) غرائز الجوع والعطش والجنس وحب الذات.
(٤) نفس المصدر: ١٦٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

(ماذا) كان يقول: اللهم اجعلني خيرا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، كل الناس بتظن بيه (بي) الخير، أريدك تجعلني أحسن مما يظنون الناس في، ولكن يا رب أنت تعرف خفاياي، في أشياء أنت بتعرفها اغفر لي هذه الأشياء. (١)

وهكذا المئات من القضايا التي مست كيان المذهب في أسسه الوجدانية والعقائدية والتأريخية والفقهية، بل إن بعضا منها ما خالف الإسلام بكل كياناته المذهبية كما في مواقفه

من تحريف التوراة والإنجيل حيث يعتقد بأنها حرفت في اللفظ دون المعنى، (٢) وهكذا قوله بعدم

كفر القائلين بالثالوث المسيحي (٣) رغم صريح القرآن:} وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت

النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين تكفروا من قبل قاتلهم الله إني

يؤفكون (٤)

---

(١) من شريط مسجل بصوته بث من قبل إذاعة محلية في لبنان نحتفظ به.

(٢) من شريط مسجل نحتفظ به.

(٣) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي: ٢٩٤ محمد حين فضل الله، دار الملاك، الطبعة الأولى ١٩٩٤.

(٤) التوبة: ٣٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

{وقوله: (لقد كفر الدين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) (١) وهكذا قوله بالتزام القرآن
بمقدسات أهل الكتاب (٢) حتى لو كانت هذه المقدسات من نمط الاعتقاد بقصة يوسف النجار
وحمل مريم منه، وحتى لو كانت هذه المقدسات بمقدار قداسة فكرة اليهود عن تكذيبهم لعيسى
عليه السلام، ومقدسة النصارى بتكذيبهم لمحمد (ص)، وحتى لو كانت مقدساتهم تعني عدم
تحريفية الكتاب لفظا ومعنى هذا ناهيك عن أقواله التي تتعفف عنها الكثير من الفرق الإسلامية
خصوصا تلك التي تتعلق بالتجسيم الإلهي حينما يصف العرش بالمنطقة الجغرافية (٣)، وكذا قوله
الشنيع بتجلي ذات الله للجبل في قصة موسى، (٤) أو أقواله التي تتعلق بعصمة الأنبياء وعقائدهم
في توحيد الله كأقواله في آدم ونوح وإبراهيم ويوسف ويونس وموسى وسليمان وداود والرسول
(صلوات الله عليه وعليهم أجمعين)، وكل هذه الأقوال مرفوضة جملة وتفصيلا من

---

(١) المائدة: ٧٣.
(٢) أنظر كتاب خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام ١: ٢٤٧.
(٣) أنظر مجلة المرسم العدد ٢١ - ٢٢ (عدد خاص بفتاويه): ٢٥٠ س ٩٤٢. وكذا كتاب الإنسان للحياة: ٣٠٠.
(٤) أنظر من وحي القرآن ١٠: ١٦٦ - ١٦٧.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قبل الإمامية ولم
يضع هذا الرفض علماء الإمامية من تلقائياتهم، وإنما تلقوه من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

خاتمة المطاف

إن دائرة الانحراف ليست متوقفة على قول خالف فيه تيار الانحراف موقفا من مواقف الإمامية
(أعلى الله شأنهم) كما رأينا في الحديث عن هذه الآيات الشريفة، وإنما تشكل حالة الخلاف هذه
حلقة من سلسلة متمادية في مخالفة فكر المذهب ورؤاه العقائدية والوجدانية والتاريخية والفقهية،
ولهذا فليست العقدة تتمثل في أن تيار الانحراف فسر هذه الآية أو تلك بشكل خاطئ، وإنما في
تسريبهم للأفكار المنحرفة بعنوانها أفكار أهل البيت عليهم السلام ضمن سلسلة طويلة يجب أن
ترى بأكملها، لا أن تقتطع هنا أو هناك، كي يقال أن هذا القول ليس فيه درجة الكفر بالمذهب.

إن من المسلم به أن التشيع ليس هوية تصدر من دائرة النفوس أو دائرة الأحوال الشخصية، وإنما
هو انتماء عقائد لمنظومة محددة من الأفكار والرؤى التي أوجد

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أسسها أهل البيت عليهم السلام،
والخروج عنها هو خروج عن المذهب، ولا يظنن البعض أن تيار الانحراف قد جمع ما بين دفتيه
أكبر مقدار من الأقوال الشاذة ضمن إطار المذهب، (١) فالأقوال التي قرأناها واستمعنا لها بأصواتهم، لا تمثل حالة خلافية تبقى في دائرة الاجتهاد، والاجتهاد الآخر، وإنما هي حالة مخالفات
لبنية المذهب وتركيبته، وبالتالي لم نك لنستغرب حينما حكمت المرجعية العليا في قم المقدسة
ممثلة بالمرجعين الكبيرين الآيات العظام الشيخ الميرزا جواد التبريزي، والشيخ الوحيد الخراساني
(حفظهما الله تعالى) على هذا التيار

---

(١) نقول ذلك لأن تيار الانحراف اجتهد في ادعاء أن أقواله لها ما يماثلها لدى علماء الطائفة، ولا بد لنا هنا من أن نشير إلى
الفرق بين من يضم في أفكاره واحدة أو أكثر من الأفكار الشاذة ويبقى ملتزما في دائرة أساسيات التفكير العقائدي، وآخر نقب
وبحث في غالبية كتب من تقدم من العلماء فعثر على شواذ أفكارهم أو ما يصلح للتطويع باتجاه الشاذ من التفكير، فضم هذه
الشواذ إلى مجموعة انحرافاته كي يقول بأن أفكاره ليست من عندياته وإنما هي أقوال العلماء السابقين، أضف إلى ذلك فإن
المقياس في الحق ليس هو الرجال أيا كانوا طالما خرجوا من دائرة العصمة، وإنما الأصل هو الحق الذي يعرف تفكير هؤلاء الرجال،
وملاك هذا الحق هو القرآن وصحيح السنة المعصومة.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

بالانحراف والخروج عن الطائفة المحقة.
ومفروغ عنه أن المرجعين الكبيرين (أعلى الله شأنهما) لم يتخذا موقفيهما في اعتبار داعية الانحراف ضالا ومضلا بسبب إثارته الآثمة حول سند الغدير (١) أو نفيه لعصمة الزهراء (٢)، أو
أقواله تم النظر إليها ضمن مئات المواقف التي تنكب فيها داعية الانحراف بعيدا عن المذهب، ولا
أشك بتاتا بأن من ينظر إلى ما نظرنا إليه من مواقف مجانفة للمذهب سوف يجد قرار المرجعية
العليا قد كان في موضعه تماما.
إن ما حدث لا ريب في أنه مؤلم للغاية، ولا أعلم أن مراجع الطائفة المحقة (أعلى الله مقامهم
الشريف) حكمت على أحد بالخروج من المذهب وأعلنت انحرافه عنه، كما أعلنت هنا، ولربما
تكون هذه الحالة هي الحالة الوحيدة التي يتم الإعلان عنها، ولكن حالة الانحراف هذه ليست
بالأمر المستغرب، فلقد تحدث القرآن عن انحراف إبليس وهو الذي كان يسمى بطاوس المتعبدين، وكذا تحدث عن حالة انحراف بلعم بن باعوراء حيث

---

(١) الندوة ١: ٤٢٢.
(٢) تأملات إسلامية حول المرأة: ٨ - ٩.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

قال: (وأتل عليهم نبأ الذي
أتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) (١) وقوله تعالى: (يا أيها الذين أمنوا إن
كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) (٢).
إن الانحراف حالة مرضية يمكن أن تصاب بها كل الكيانات غير المعصومة، وخط الانحراف يبدأ
ضيقا حتى إذا ما بلغ أشده بان على حقيقته، وما أصدق كلام أمير المؤمنين عليه السلام حينما
قال في صحيحة ثقة الإسلام الكليني موضحا حقيقة الانحراف وبدء دبيبه في كيان الأشخاص
والأمم: أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولى
فيها رجال رجالا، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن
اختلاف، ولكن يأخذ من هذا ضغث، ومن ذاك ضغث، فيمزجان فيجيئان معا فهنالك
استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى. (٣)
أما كيف نتخلص من ذلك فلن يكون إلا من خلال

---

(١) الأعراف: ١٧٥.
(٢) التوبة: ٣٤.
(٣) الكافي ١: ٥٤ ح ١.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

الحذر الشديد والورع الكبير في التعامل مع
مسائل الدين وعقائده، ولن يتم ذلك إلا من خلال الرجوع لأهل البيت عليهم السلام فما جاءنا
منهم بقول صحيح تعبدنا به، وما جاء عن غيرهم مخالفا لهم رددناه وكفرنا به، كائنا من كان
قائله والملتزم به، فالحق هو الذي يعرف الرجال، ولا يعرف الحق بالرجال كائنا من كانوا، فيما خلا
أهل بيت العصمة والطهارة فهم مرجع الدين وهم الملاذ من الفتن والبدع، وما أحسن قول الصادق
من آل محمد عليه السلام حينما قال بشأن التنازع على أمر ما، بأن يتم التحاكم إلى: من كان
منكم ممن قد روى حديثنا فإني قد جعلته عليكم حاكما فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه، فإنما
استخف بحكم الله وعلينا رد، والراد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك.
(١) عصمنا الله وإياك عزيزي القارئ من الضلالة والتخبط بنار الفتن، وجعلنا من المتمسكين
بشرعة آل محمد عليهم السلام، وأستميحك في الختام العذر فيما إذا بدر مني هفوة أو زلة،
وشفيعي في الاعتذار أن غايتي أن أسهم في الرد عن آل محمد عليهم السلام ظلامة لحقت بهم

---

(١) الكافي ١: ٦٧ ح ١٠.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com

أثارتها عليهم نار الجهل والغرور.
اللهم إني أشهدك وكفى بك عالما وشهيدا أنه ما كان مني في التصدي لموجة الضلال هوى في
دنياهم، ولا طمعا في وجاهتهم، ولا حسدا مني لمالهم، ولا إحنة على أشخاصهم، وإنما كان
الذي كان مني تعبدا بالولاء لعقيدة آل محمد عليهم السلام خالصة لهم دون سواهم ورائدي في
ذلك يا رب قول دعاة الهدى: (وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا
شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون) (١).
اللهم إن كنت تعلم صدقي فيما أشهدك به فأعني منك بحول وقوة، فإن المستجير بغيرك خائب، واللائذ بسواك مخذول، والمستعين بغيرك بائر، أنت الهادي لطريق الهدى والموفق لنهج
الحق عليك توكلت وإليك مآب.

---

(١) الأعراف: ١٦٤.

http://www.ShiaOnlineLibrary.com